العلاقات الروسية الإيرانية ما بعد الحرب الأوكرانية: التحولات والتحالفات الاستراتيجية

نور صفاء فخري الحديثي
جامعة النهرين
noor.safaa@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص:

لقد غيرت الحرب الدائرة في أوكرانيا بشكل كبير من المشهد الجيوسياسي، مما أدى إلى تعميق العلاقات بين روسيا وإيران. تدرس هذه الورقة البحثية المجالات الرئيسية للتعاون بين البلدين، بما في ذلك التعاون العسكري والشراكات الاقتصادية والتحالف السياسي. من خلال تحليل التطورات الأخيرة، تُبرز هذه الدراسة دور الحرب الاوكرانية في تشكيل تحالف استراتيجي بين روسيا وإيران للحد من النفوذ الغربي، مع تعزيز المصالح الاقتصادية والأمنية المشتركة بين البلدين. لقد أظهر اعتماد روسيا على التكنولوجيا العسكرية الإيرانية، وخاصة في شكل إمدادات الطائرات بدون طيار والصواريخ، تعاونًا دفاعيًا متزايدًا بين البلدين.

لقد عزز توريد طائرات بدون طيار من طراز شاهد-١٣٦ والصواريخ الباليستية قصيرة المدى من إيران القدرات العسكرية الروسية في أوكرانيا، في حين حصلت إيران على إمكانية الوصول إلى المعدات العسكرية الروسية المتقدمة، بما في ذلك أنظمة الدفاع الجوي والطائرات المقاتلة. ويؤكد هذا التبادل العسكري على الترابط الاستراتيجي بين البلدين، والذي تشكله موقفهما العدائي المشترك ضد القوى الغربية.

وبعيدًا عن التعاون العسكري، توسعت العلاقة الاقتصادية بين روسيا وإيران أيضًا نتيجة للحرب. لقد سعت الدولتان، اللتان تواجهان عقوبات غربية واسعة النطاق، إلى إنشاء طرق تجارية بديلة وآليات مالية للالتفاف على القيود. ويجسد تطوير ممر النقل الدولي من الشمال إلى الجنوب(INSTC) ، الذي يربط روسيا بالهند عبر إيران، جهودهما الرامية إلى الحد من الاعتماد على الهياكل الاقتصادية التي يسيطر عليها الغرب. وعلاوة على ذلك، تعاونت روسيا وإيران في قطاع الطاقة، مع اتفاقيات بشأن صادرات النفط والغاز تهدف إلى استقرار اقتصاديهما في ظل العقوبات.

ومن الناحية السياسية، عززت الحرب التوافق بين روسيا وإيران، اللتين تنظران إلى السياسات الغربية باعتبارها تهديدًا لسيادتهما وطموحاتهما الإقليمية. ويوضح توقيع معاهدة شراكة استراتيجية بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتن والرئيس الإيراني مسعود بيزشكيان في يناير/كانون الثاني ٢٠٢٥ التزامهما بتعميق العلاقات. ورغم أن المعاهدة لا تشكل ميثاق دفاع متبادل، إلا أنها تؤكد على الجهود المنسقة في المجالات العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية. وتشير هذه الشراكة المتنامية إلى تحول في ديناميكيات القوة العالمية، مما يشكل تحديًا لهيمنة التحالفات التي يقودها الغرب.

في نهاية المطاف، أدت حرب أوكرانيا إلى تسريع تشكيل تحالف قوي بين روسيا وإيران، مدفوعًا باعتبارات براجماتية ومصالح جيوسياسية مشتركة. وفي حين تظل الاستدامة الطويلة الأجل لهذه الشراكة غير مؤكدة، فإن تأثيرها الفوري على العلاقات الدولية لا يمكن إنكاره. تستكشف هذه الورقة هذه التطورات بالتفصيل، وتسلط الضوء على التحولات الاستراتيجية التي تتكشف في أعقاب الصراع الجاري.

Russian-Iranian Relations After the Ukraine War: Transformations and Strategic Alliances

Abstract

The ongoing war in Ukraine has significantly altered the geopolitical landscape, leading to a deepening relationship between Russia and Iran. This paper examines the key areas of cooperation between the two nations, including military collaboration, economic partnerships, and political alignment. By analyzing recent developments, this study highlights how the war has catalyzed a strategic alliance that challenges Western influence while addressing mutual economic and security needs.

Russia's reliance on Iranian military technology, particularly in the form of drone and missile supplies, has demonstrated a growing defense cooperation between the two countries. The supply of Shahed-١٣٦ drones and short-range ballistic missiles from Iran has enhanced Russia's military capabilities in Ukraine, while Iran has gained access to advanced Russian military hardware, including air defense systems and fighter jets. This military exchange underscores the strategic interdependence between the two nations, shaped by their shared adversarial stance against Western powers.

Beyond military cooperation, the economic relationship between Russia and Iran have also expanded as a result of the war. Both countries, facing extensive Western sanctions, have sought to establish alternative trade routes and financial mechanisms to circumvent restrictions. The development of the International North-South Transport Corridor (INSTC), which connects Russia to India via Iran, exemplifies their efforts to reduce dependency on Western-controlled economic structures. Furthermore, Russia and Iran have collaborated in the energy sector, with agreements on oil and gas exports designed to stabilize their economies amidst sanctions.

Politically, the war has reinforced the alignment between Russia and Iran, both of whom view Western policies as a threat to their sovereignty and regional ambitions. The signing of a strategic partnership treaty between Russian President Vladimir Putin and Iranian President Masoud Pezeshkian in January ٢٠٢٥ illustrates their commitment to deepening ties. Although the treaty does not constitute a mutual defense pact, it emphasizes coordinated efforts in military, economic, and diplomatic fields. This growing partnership signals a shift in global power dynamics, challenging the dominance of Western-led alliances.

Ultimately, the Ukraine war had accelerated the formation of a robust Russia-Iran alliance, driven by pragmatic considerations and shared geopolitical interests. While the long-term sustainability of this partnership remains uncertain, its immediate impact on international relations is undeniable. This paper explores these developments in detail, shedding light on the strategic transformations unfolding in the wake of the ongoing conflict.

المقدمة:

شهد النظام الدولي منذ بدايات القرن الحادي والعشرين تحولات كبرى أعادت رسم خريطة التحالفات الإقليمية والدولية، وجعلت من بعض الأزمات السياسية والعسكرية مفاصل رئيسية في مسار العلاقات بين الدول. وتُعد الحرب الروسية الأوكرانية، التي اندلعت في فبراير ٢٠٢٢، من أبرز هذه الأزمات، إذ لم تقتصر تداعياتها على حدود روسيا وأوكرانيا أو حتى القارة الأوروبية، بل امتدت لتطال مختلف أطراف النظام الدولي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وفي خضم هذه التحولات، برزت العلاقات الروسية الإيرانية كواحدة من أكثر الشراكات الثنائية التي شهدت إعادة صياغة وتطوير في ضوء التحديات الجديدة التي فرضتها الحرب.

لقد وجدت كل من موسكو وطهران نفسيهما في موقف متقارب تجاه الغرب، فبينما تواجه روسيا عزلة اقتصادية وسياسية بسبب تدخلها العسكري في أوكرانيا، لا تزال إيران تخضع لعقوبات غربية مشددة نتيجة برنامجها النووي وتدخلاتها الإقليمية. هذا التقاطع في التحديات والمصالح دفع بالبلدين إلى تعزيز تعاونهما في مختلف المجالات، لا سيما في الشؤون الأمنية والعسكرية والاقتصادية، ما أدى إلى تحالف عملي وإن لم يكن معلناً بشكل كامل، يهدف إلى تقويض النفوذ الغربي وتحقيق مصالح استراتيجية مشتركة. أهمية هذا الموضوع تنبع من كونه يتقاطع مع قضايا متعددة تتعلق بالأمن الإقليمي والدولي، وبتوازن القوى في الشرق الأوسط، وسوق الطاقة العالمي، والتحولات الجيوسياسية التي أعادت تشكيل علاقات التحالف والخصومة. فروسيا، باعتبارها قوة عظمى تسعى للحفاظ على مكانتها العالمية، تجد في إيران شريكاً إقليمياً يمكن أن يساندها في مواجهة الضغوط الغربية، في حين ترى إيران في روسيا داعماً دولياً يمكنه كسر عزلتها وتزويدها بتقنيات ومعدات عسكرية متقدمة، فضلاً عن دعم مواقفها في المنظمات الدولية.

في هذا الإطار، يهدف هذا البحث إلى تحليل التأثيرات العميقة التي خلفتها الحرب الأوكرانية على طبيعة العلاقات الروسية الإيرانية، من خلال دراسة خلفية العلاقات بين البلدين قبل اندلاع الحرب، مروراً بتغير المصالح المشتركة بعد ٢٠٢٢، ووصولاً إلى التحديات والفرص التي أفرزها التقارب المتسارع بين موسكو وطهران. كما سيتطرق البحث إلى مظاهر التعاون العسكري والاقتصادي، والمواقف السياسية المنسقة تجاه العقوبات الغربية، بالإضافة إلى دراسة التأثير على ملفات إقليمية حساسة مثل الأزمة السورية،

والقوقاز، وآسيا الوسطى. وتكتسب هذه الدراسة أهمية إضافية في ظل التصعيد المستمر في الحرب الأوكرانية، وما رافقها من تغييرات في السياسات الخارجية الروسية، والتي باتت تميل أكثر إلى الشرق وتبتعد عن الغرب، وكذلك في ظل السياسة الإيرانية القائمة على استغلال الأزمات الدولية لتعزيز نفوذها الإقليمي والدولي. إن فهم هذا التحول في العلاقات بين قوتين تواجهان ضغوطاً متزايدة من الغرب يساعد على تفسير التوازنات الجديدة التي تتشكل في النظام العالمي، وعلى توقع مسارات التحالفات المستقبلية في منطقة تعج بالصراعات مثل الشرق الأوسط.

المبحث الاول: السياق التاريخي للعلاقات الروسية الإيرانية

إن العلاقات الروسية الإيرانية مشبعة بتاريخ طويل ومعقد، تشكله المصالح الجيوسياسية، والاعتبارات الدينية، والعوامل الاقتصادية. وقد تطورت العلاقة بين البلدين على مر القرون، مع لحظات من التعاون والصراع، مدفوعة بالمشهد السياسي المتغير في المنطقة والعالم الأوسع. لفهم تعقيدات علاقتهما، من الضروري فحص السياق التاريخي، بدءًا من تفاعلاتهما المبكرة واستمرارًا حتى تحالفهما المعاصر. حدث أول اتصال مهم بين روسيا وإيران في القرن السادس عشر، عندما سعت الإمبراطورية الروسية المتوسعة إلى توسيع نفوذها جنوبًا. في هذه الفترة، كانت إيران تحت حكم السلالة الصفوية، التي أسست الإسلام الشيعي كدين للدولة وكانت منخرطة في التوسع الإقليمي والدفاع عن سيادتها ضد الإمبراطورية العثمانية. خلال هذا الوقت، كان الاهتمام الأساسي للإمبراطورية الروسية هو الوصول إلى بحر قزوين وإنشاء طريق تجاري إلى بلاد فارس (إيران الحديثة).

في القرن السابع عشر، أدت الحملات العسكرية الروسية ضد الإمبراطورية العثمانية وخانية القرم إلى دخولها في مواجهة مباشرة مع إيران الصفوية. ومع ذلك، فقد رأت كل من روسيا وإيران، على الرغم من صراعاتهما، قيمة العلاقات التجارية والدبلوماسية. أدت القوة المتنامية لروسيا وإضعاف الإمبراطورية الصفوية إلى تحولات في الديناميكيات الإقليمية، لكن روسيا كان عليها أن تتصارع مع النفوذ العثماني والفارسي في القوقاز وغيرها من المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية. شهد القرن التاسع عشر فترة من التنافس الشديد بين روسيا والإمبراطورية البريطانية، وخاصة في آسيا الوسطى وبلاد فارس[١٠٢] . تميز هذا العصر، الذي يشار إليه غالبًا باسم "اللعبة الكبرى"، بالتنافس للهيمنة على المنطقة، وخاصة في المناطق المحيطة بإيران. كانت إيران، التي كانت تكافح الصراع الداخلي وتراجع قوة سلالة القاجار، في مرمى نيران هذا التنافس[٣] .

خاضت روسيا وإيران عدة حروب خلال هذه الفترة، وكانت الحروب الروسية الفارسية (١٨٠٤-١٨١٣ و١٨٢٦-١٨٢٨) محورية. وفي أعقاب هذه الحروب، أُجبرت إيران على التنازل عن أراضٍ كبيرة لروسيا، بما في ذلك أجزاء من القوقاز. أنهت معاهدة تركمانشاي في عام ١٨٢٨ رسميًا الحرب الروسية الفارسية

الثانية وعززت السيطرة الروسية على المنطقة، مما يشير إلى تحول كبير في المشهد الجيوسياسي[٤،٥] .
تركت هيمنة الإمبراطورية الروسية في القوقاز ومنطقة بحر قزوين إيران بقدرة سياسية محدودة. خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر، استمر نفوذ روسيا على إيران في النمو، وخاصة مع إنشاء اتفاقيات اقتصادية وسياسية منحت روسيا امتيازات كبيرة في التجارة، والأمور العسكرية، وتطوير البنية التحتية. في المقابل، ظل النفوذ البريطاني بارزًا في جنوب إيران، وخاصة في المناطق الغنية بالنفط مثل خوزستان. كان أوائل القرن العشرين فترة من الاضطرابات السياسية لكل من روسيا وإيران. وكانت الثورة الروسية عام ١٩١٧، التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية الروسية وصعود الاتحاد السوفييتي، ذات آثار عميقة على السياسة الإيرانية. وفي أعقاب الثورة، سعت الحكومة البلشفية في البداية إلى إبعاد نفسها عن السياسات الإمبريالية. ومع ذلك، سرعان ما أجبرت الحقائق الجيوسياسية في المنطقة السوفييت على التعامل مع إيران، التي كانت تحت النفوذ البريطاني والروسي بعد تفكيك سلالة قاجار[٦-٨] .

وكانت الحرب العالمية الأولى سبباً في تعقيد العلاقة بين البلدين. فقد كافحت إيران، التي كانت محاصرة بين منطقتي النفوذ البريطاني والروسي، للحفاظ على سيادتها. وخلال الحرب، نشرت كل من روسيا وبريطانيا قوات في إيران، وأصبحت البلاد ممراً حاسماً للإمدادات لقوات الحلفاء. وكانت المعاهدة السوفييتية الإيرانية لعام ١٩٢١، التي تم توقيعها بين الاتحاد السوفييتي وإيران في عهد سلالة بهلوي، بمثابة خطوة مهمة في تحسين العلاقات. اعترفت المعاهدة باستقلال إيران، ووافق الاتحاد السوفييتي على سحب قواته من الأراضي الإيرانية. على الرغم من هذا التعاون الأولي، زادت التوترات بين الاتحاد السوفييتي وإيران على مدى العقدين التاليين. جلب صعود الستالينية في الاتحاد السوفييتي في ثلاثينيات القرن العشرين معه سياسة خارجية أكثر عدوانية، وأصبحت العلاقات المتنامية لإيران مع الغرب، وخاصة المملكة المتحدة والولايات المتحدة، مصدرًا للاحتكاك. كما شكل الدعم السوفييتي للحركات الشيوعية الإيرانية تحديًا للملكية البهلوية، التي كانت متحالفة مع القوى الغربية [٩].

شهدت حقبة الحرب الباردة تحولاً ملحوظاً في العلاقة بين روسيا (الاتحاد السوفييتي) وإيران. فقد أدت جهود الاتحاد السوفييتي لتوسيع نفوذه في الشرق الأوسط، إلى جانب العلاقات المتزايدة بين إيران والولايات المتحدة، إلى خلق فترة من التوتر. كما عزز الانقلاب الذي دعمته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية عام ١٩٥٣ والذي أطاح برئيس الوزراء الإيراني المنتخب ديمقراطياً محمد مصدق وأعاد تنصيب الشاه، مكانة إيران كحليف رئيسي للغرب، وخاصة في دورها الاستراتيجي في الحرب الباردة. خلال هذه الفترة، نظر الاتحاد السوفييتي إلى إيران بريبة، حيث خاف من انتشار النفوذ الغربي وإنشاء قواعد عسكرية أمريكية في إيران. كما عارض الاتحاد السوفييتي جهود إيران للحفاظ على موقف محايد في المنطقة، كما يتضح من أزمة أذربيجان عام ١٩٤٧، عندما حاول الاتحاد السوفييتي إنشاء حركة انفصالية في شمال

إيران[١٠،١١] . وعلى الرغم من هذه التوترات، استمرت العلاقات الدبلوماسية والتجارية المتقطعة بين الاتحاد السوفييتي وإيران، وخاصة في مجال النفط وتطوير البنية التحتية. لقد أحدثت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ تحولاً جذرياً في المشهد السياسي. فقد أدى الإطاحة بالشاه وتأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية تحت قيادة آية الله الخميني إلى تغيير جذري في توازن القوى في الشرق الأوسط. وكانت الحكومة الإيرانية الجديدة تعارض أيديولوجياً النفوذ الغربي والشيوعية على النمط السوفييتي، ولكنها وجدت نفسها في موقف محفوف بالمخاطر، محاطة بالدول المتحالفة مع الولايات المتحدة والمجال السوفييتي المتوسع [١٢].

كان انهيار الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩١ وظهور الاتحاد الروسي اللاحق بمثابة فصل جديد في العلاقات الروسية الإيرانية. ففي حقبة ما بعد الحقبة السوفييتية، واجهت كل من الدولتين تحديات مماثلة، بما في ذلك الصعوبات الاقتصادية والحاجة إلى إعادة تأكيد نفوذهما في نظام عالمي سريع التغير. وعلى الرغم من الاختلافات الإيديولوجية، بدأت روسيا وإيران في تنمية علاقة أكثر براجماتية، مع التركيز على المصالح المشتركة في الأمن الإقليمي والطاقة والاستقرار الجيوسياسي. في تسعينيات القرن العشرين، عززت روسيا وإيران علاقاتهما في مواجهة النفوذ الأمريكي المتزايد في المنطقة[١٣] . زودت روسيا إيران بالتكنولوجيا العسكرية، بما في ذلك البيع المثير للجدل لأنظمة الأسلحة المتقدمة، في حين ساعدت إيران روسيا في تحقيق أهدافها الإقليمية، وخاصة في آسيا الوسطى والقوقاز. كما تميزت العلاقة بالتعاون في مجال الطاقة، حيث لعبت روسيا دورًا رئيسيًا في برنامج الطاقة النووية الإيراني، حيث قدمت المساعدة الفنية وسهلت بناء محطات الطاقة النووية[١٤،١٥] .

كان أحد أهم التطورات في العلاقات الروسية الإيرانية في حقبة ما بعد الاتحاد السوفييتي في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، عندما وجد كلا البلدين أرضية مشتركة في معارضتهما للسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط، وخاصة بعد غزو العراق عام ٢٠٠٣. أصبح هذا التوافق أكثر وضوحًا مع سعي روسيا وإيران إلى الحد من النفوذ الأمريكي في المنطقة، مع نمو التعاون في المجالات العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية. يتميز السياق التاريخي للعلاقات الروسية الإيرانية بفترات من الصراع والتعاون والمنافسة، مدفوعة بمزيج من العوامل الجيوسياسية والاقتصادية والأيديولوجية. لقد تطورت العلاقة من تفاعلات مبكرة في القرن السادس عشر إلى شراكة استراتيجية معقدة في القرن الحادي والعشرين. وعلى الرغم من الاختلافات الدائمة، وخاصة في الإيديولوجية، فقد وجدت روسيا وإيران أرضية مشتركة في نظام عالمي سريع التغير، حيث عززت المصالح المتبادلة وخاصة في مواجهة النفوذ الغربي [١٦،١٧]. ومع استمرار البلدين في التنقل في عالم متعدد الأقطاب على نحو متزايد، فمن المرجح أن تظل روابطهما التاريخية عاملاً حاسماً في تشكيل مستقبل علاقاتهما.

المبحث الثاني: نظرة عامة على الحرب الأوكرانية

لقد أحدثت الحرب في أوكرانيا تحولات كبيرة في الجغرافيا السياسية العالمية، مما أجبر الدول على إعادة تقييم تحالفاتها الاستراتيجية. لقد وجدت روسيا وإيران، الدولتان اللتان كانتا تاريخيا خصمين للهيمنة الغربية، أرضية مشتركة في استجاباتهما للصراع. يتعمق هذا البحث في كيفية إعادة تشكيل الحرب للعلاقات بين روسيا وإيران، مع التركيز على التعاون العسكري والشراكات الاقتصادية والتحالف السياسي. كانت العلاقة بين روسيا وإيران معقدة تاريخيا، وتميزت بفترات من التعاون والتنافس. في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مارست الإمبراطورية الروسية نفوذها على إيران، وتنافست مع الإمبراطورية البريطانية على السيطرة في المنطقة. ومع ذلك، في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، تغيرت الديناميكيات، وخاصة بعد الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، والتي وضعت إيران كقوة معادية للغرب. ومنذ ذلك الحين، طورت روسيا وإيران علاقات براجماتية قائمة على المصالح الاستراتيجية المشتركة، وخاصة في مواجهة السياسات الأمريكية والأوروبية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. خلال الحرب الأهلية السورية، تعاونت روسيا وإيران على نطاق واسع لدعم نظام الأسد، مما عزز شراكتهما العسكرية والسياسية. وقد مهد هذا التعاون الطريق لمزيد من التوافق عندما اندلعت حرب أوكرانيا، مما أجبر الدولتين على التعامل مع عواقب العقوبات الغربية والعزلة الدبلوماسية[١٨،١٩] .

لقد غيرت الحرب في أوكرانيا العلاقات الروسية الإيرانية بشكل جذري. فقد وصل التعاون بين البلدين إلى مستويات غير مسبوقة، وهو ما يتجلى في استخدام الطائرات بدون طيار الإيرانية من قبل روسيا في أوكرانيا. كما عزز البلدان جهودهما لمقاومة العقوبات الغربية والعزلة السياسية بشكل مشترك. كما تواصل إيران توسيع برنامجها النووي بمستويات مثيرة للقلق - دون أي معارضة من موسكو. إن هذه الحقائق تشكل تهديدات أمنية جديدة ومباشرة للحكومات الأوروبية. أولاً، قد تمكن الشراكة المعززة روسيا من إطالة أمد الحرب وزيادة الدمار في أوكرانيا. ثانياً، يمكنهما معًا تغيير توازن القوى في الشرق الأوسط من خلال الدعم الروسي لطموحات إيران النووية، ونقل الأسلحة إلى إيران، والتهديدات بالتصعيد العسكري في سوريا. ثالثًا، قد يعملان على تقويض النفوذ الغربي في مؤسسات الحكم العالمي[٢٠] .

لم يعمل الصراع في أوكرانيا إلا على تسريع العلاقات المتعمقة بشكل مطرد بين إيران وروسيا. ولكن على مدى العقد الماضي، ظلت موسكو حريصة على عدم إثارة عداوة الغرب وإسرائيل من خلال علاقاتها مع طهران. الآن، في أعقاب حرب أوكرانيا والانهيار اللاحق للعلاقات بين روسيا والغرب، برزت إيران كواحدة من أكثر حلفاء موسكو ثباتًا. قبل عدة أسابيع من بدء روسيا لحربها، ناقش الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي ونظيره الروسي فلاديمير بوتن الانتهاء من اتفاقية تعاون طال انتظارها لمدة ٢٠ عامًا لتوسيع العلاقات على جميع الجبهات. تجد روسيا نفسها الآن معتمدة على إيران بطرق لم تكن متخيلة قبل فبراير

٢٠٢٢. لقد أحدثت المساهمة العسكرية لطهران في المجهود الحربي الروسي فرقًا هائلاً في قدرة روسيا على المثابرة في صراع صعب. إيران، التي كانت ذات يوم لاعباً ثانويًا، أصبحت الآن واحدة من أهم المتعاونين مع روسيا في الحرب في أوكرانيا[٢١،٢٢] .

يتزامن حرص روسيا على التعاون مع إيران مع ميل ملحوظ في السياسة الداخلية الإيرانية بعيدًا عن السعي إلى التطبيع مع الغرب. لقد شهدت إيران سلسلة من خيبات الأمل في علاقاتها مع الغرب. وتشمل هذه الاتفاق النووي الفاشل لعام ٢٠١٥، والمعروف باسم "خطة العمل الشاملة المشتركة"، إن عدم قدرة الدول الأوروبية على مواصلة العلاقات الاقتصادية مع إيران بعد انسحاب إدارة ترامب من الاتفاق النووي في عام ٢٠١٨, وتردد إدارة بايدن في البداية في استعادة خطة العمل الشاملة المشتركة بسرعة. تفاقم هذا الجمود في أعقاب الكشف الاستخباراتي الأمريكي في يوليو ٢٠٢٢ عن تخطيط إيران لإرسال طائرات مقاتلة بدون طيار إلى روسيا، والقمع الوحشي على مستوى البلاد ضد المتظاهرين الإيرانيين الذي بدأ في سبتمبر ٢٠٢٢[٢٣] .

إن أحد العوامل المهمة التي دفعت إيران إلى دعم حرب روسيا في أوكرانيا هو صعود المتشددين والدولة العميقة في احتكار صنع القرار. أثرت ديناميكية توازن القوة هذه بشكل مباشر على قرار إيران بدعم روسيا في الصراع. وكما يصف أحد الخبراء الإيرانيين، "خيب الغرب آمال الفصيل الأكثر اعتدالاً مرارًا وتكرارًا بخيانة صفقاتهم وعدم إعطائهم أي شيء. وفي الوقت نفسه، رعت روسيا وعززت يد المتشددين في السلطة الآن. لقد عرضت ووفرت مكاسب اقتصادية وترقيات عسكرية ومساعدة أمنية للحفاظ على موقفهم ". كان موقف روسيا وإيران المناهض للغرب جزءًا مما يربط علاقتهما ببعضهما البعض لبعض الوقت. ومع مواجهة البلدين لتراجع في علاقاتهما مع الغرب، وجدا سبباً مشتركاً أكثر لمعارضة النظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة والدفع نحو رؤيتهما المشتركة لنظام عالمي متعدد الأقطاب[٢٤،٢٥] .

سعت روسيا وإيران إلى ترقية شراكتهما من خلال دعم دبلوماسي أكبر لصد الهيمنة الغربية، والتزويد المتبادل بأنظمة الأسلحة الرئيسية، وتبادل الخبرات في التهرب من العقوبات. وبينما لن تتمكن الدول الأوروبية من وقف هذه التطورات في العلاقات بين روسيا وإيران بشكل كامل، توصي الورقة بكيفية الحد من الضرر الذي يلحق بالأمن الأوروبي من خلال مزيج مدروس من الضغط القسري والأدوات الدبلوماسية. وفيما يتعلق بالأول، ينبغي للحكومات الأوروبية أن تراجع باستمرار وتعزز تدابيرها الاقتصادية التقييدية التي تستهدف إنتاج الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية. وقد تؤدي هذه التدابير إلى تدهور خطوط الإمداد الإيرانية ببطء بينما تعمل الحكومات الغربية على تعزيز الدفاعات الأوكرانية. وينبغي للدول الأوروبية أيضاً أن تعمل مع الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتحالفة لتعميق استخباراتها بشأن عمليات نقل الأسلحة بين إيران وروسيا ونشر النتائج حيثما كان ذلك مناسباً. في السابق، نجح الغرب

في التفاوض مع موسكو لعزل طهران، ولكن من الواضح أن هذا غير ممكن الآن في ظل العدوان الروسي على أوكرانيا. قد يتمكن الغرب من إبطاء الشراكة الإيرانية مع روسيا من خلال صفقة معاملاتية مع طهران. يمكن للتدابير التي تعمل على تهدئة التوترات بين الغرب وإيران أن تخلق فتحات دبلوماسية لدق إسفين بين روسيا وإيران. إن جوهر هذه الجهود هو أنها ستتطلب من إيران وقف أو تقليص الإجراءات التي تلحق ضررا بالغا بالعلاقات الأوروبية[٢٥] .

يمكن القول إنه خلال العقود الأخيرة، لعبت روسيا دورًا مهمًا في السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، سواء في التعاون في المنظمات الدولية (خاصة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة)، أو التعاون الإقليمي (التعاون العسكري في الحرب الأهلية السورية) أو في تزويد إيران بأنواع مختلفة من الأسلحة. في الواقع، حاولت إيران الحفاظ على علاقات ودية مع واحدة من أقوى الدول في العالم، روسيا، بسبب الصراعات المختلفة مع الكتلة الغربية، وخاصة الولايات المتحدة وفي ظل الظروف غير المتوقعة في الشرق الأوسط. منذ انهيار الاتحاد السوفييتي واستقلال أوكرانيا، واجهت هذه الدولة ظروفًا خاصة تجعلها محورًا جيوسياسيًا في الجغرافيا العالمية الجديدة بعد الحرب الباردة. كانت روسيا دائمًا حساسة للتطورات في أوكرانيا واتجاه سياستها الداخلية والخارجية. كما ركزت الولايات المتحدة باستمرار على أوكرانيا لمنع عودة روسيا كقوة عالمية كبرى. تسببت مصالح موسكو وواشنطن في تأثر التطورات في أوكرانيا بشكل كبير بسياسات البلدين[٢٦،٢٧] .

وبالنظر إلى أن توجه إيران تجاه حرب أوكرانيا يؤثر بشكل مباشر على علاقاتها مع موسكو وكذلك مصالحها في النظام الدولي، فإن الغرض الرئيسي من هذه المقالة هو تحديد نهج إيران تجاه الحرب في أوكرانيا وتأثيره على علاقاتها مع روسيا. قبل هذه الحرب، بدت المفاوضات النووية لإحياء الاتفاق النووي الإيراني (خطة العمل الشاملة المشتركة لعام ٢٠١٥) في متناول اليد. لقد أدى اندلاع الحرب أولاً إلى تغيير مواقف طهران وموسكو وكان هناك عدم يقين بشأن المفاوضات وحتى مخاوف بشأن انهيارها. وبحلول أواخر مارس ٢٠٢٢، بدا أن المفاوضات عادت إلى مسارها وكان الاتفاق في متناول اليد. وبعيدًا عن خطة العمل الشاملة المشتركة، تمت إعادة النظر في الحرب الباردة الجديدة التي تضع روسيا ضد التحالف عبر الأطلسي داخل إيران بالنظر إلى عواقبها على موقف البلاد في النظام العالمي. هذا البحث نوعي من حيث المنهج وعملي من حيث الغرض. في هذه المقالة، حقق المؤلفون في توجه إيران تجاه هجوم روسيا على أوكرانيا. مع لمحة موجزة عن العلاقات بين إيران وروسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، قاموا بدراسة تأثير الحرب في أوكرانيا على هذه العلاقات[٢٨] . وفي هذا السياق، تم الاهتمام بتصريحات كبار المسؤولين في البلاد. وعلى الرغم من وجود اختلافات بين الادعاء والسياسات الحقيقية لجمهورية إيران الإسلامية، إلا أن السياسة الرسمية لإيران، مثل الدول الأخرى، كانت حذرة للغاية في هذا الصدد. [٢٩].

المبحث الثالث: العلاقات العسكرية بين روسيا وإيران بعد الحرب الاوكرانية

أولا: ألتعاون العسكري بين روسيا وإيران في حرب أوكرانيا

يمثل التعاون العسكري بين إيران وروسيا في سياق حرب أوكرانيا تحالفًا معقدًا ومتطورًا له آثار جيوسياسية كبيرة. فكلا البلدين، على الرغم من الأولويات الإقليمية المختلفة، يشتركان في مصلحة مشتركة في تقويض الهيمنة الغربية، وخاصة هيمنة الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي. وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، عمقت إيران وروسيا علاقاتهما العسكرية والسياسية والاقتصادية، حيث يشكل تعاونهما في الصراع الدائر في أوكرانيا مثالاً بارزًا على هذه الشراكة. ستستكشف هذه المقالة طبيعة تعاونهما العسكري، والأهداف الاستراتيجية لكلا البلدين، والتداعيات المحتملة لهذا التحالف على الأمن العالمي .كانت حرب أوكرانيا، التي بدأت في فبراير ٢٠٢٢، تتويجًا للتوترات المتصاعدة بين روسيا وأوكرانيا، والتي كانت تغلي منذ ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في عام ٢٠١٤ والصراع المستمر في منطقة دونباس في شرق أوكرانيا. كان الغزو الروسي الكامل لأوكرانيا في عام ٢٠٢٢ تحديًا مباشرًا لحلف شمال الأطلسي والنظام الليبرالي الغربي، بهدف منع أوكرانيا من التحالف بشكل أوثق مع الغرب وإعادة تأكيد النفوذ الروسي على الدول المجاورة لها. تطورت الحرب إلى صراع طويل الأمد ومدمر، تميز بالقتال العنيف والخسائر الكبيرة والإدانة الدولية الواسعة النطاق لأفعال روسيا[٣٠] .

سعت أوكرانيا، بدعم قوي من حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، إلى صد الغزو الروسي والحفاظ على سيادتها. ومع ذلك، كافحت روسيا لتحقيق نصر عسكري حاسم، وتلقت سمعتها الدولية ضربة شديدة. وفي الوقت نفسه، خلقت الاستجابة العالمية للصراع، وخاصة العقوبات المفروضة على روسيا، بيئة سعت فيها روسيا إلى تعميق علاقاتها مع الدول التي تعارض أيضًا النفوذ الغربي. برزت إيران، الدولة التي كانت عدوًا للغرب منذ فترة طويلة، كحليف رئيسي لروسيا، حيث قدمت الدعم العسكري والاقتصادي في المجهود الحربي.

ولكي نفهم التعاون العسكري بين إيران وروسيا في حرب أوكرانيا، فمن الضروري أولاً أن ندرس علاقاتهما التاريخية. فالبلدان يشتركان في تاريخ طويل من التعاون والتنافس، ولكن على مدى العقدين الماضيين، تعززت تحالفاتهما الاستراتيجية بشكل كبير، وخاصة تحت قيادة الرئيس فلاديمير بوتن في روسيا والمرشد الأعلى آية الله علي خامنئي في إيران. وينظر البلدان إلى النظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة بريبة، وقد عملا معاً في ساحات مختلفة لمواجهة النفوذ الغربي، وخاصة في الشرق الأوسط .لقد شاركت إيران وروسيا في العديد من التعاونات العسكرية، وخاصة في سوريا، حيث دعمت كل منهما نظام الرئيس بشار الأسد خلال الحرب الأهلية السورية. وقد عززت جهودهما العسكرية المشتركة في سوريا شراكتهما وأرست الأساس للتعاون في المستقبل. فقد قدمت روسيا الدعم الجوي والأسلحة المتقدمة، في

حين أرسلت إيران قوات برية وزودت حليفتها بالمستشارين العسكريين والأسلحة والدعم اللوجستي. وقد سمح هذا التعاون لكلا البلدين بتعزيز نفوذهما في الشرق الأوسط وتحدى الجهود الأميركية لتقويض حكومة الأسد .ولقد امتد تعاونهما العسكري إلى ما هو أبعد من سوريا، حيث انخرطت إيران وروسيا في تجارة الأسلحة، وتبادل التكنولوجيا الدفاعية، والتدريبات العسكرية المشتركة. كما تعززت العلاقة بين البلدين بفضل مصالحهما المشتركة في أسواق الطاقة، حيث يعتبر كل منهما من كبار منتجي النفط والغاز، وبفضل رغبتهما المشتركة في تحدي النفوذ الأميركي في المؤسسات الدولية[٣١،٣٢] .

لقد أدت حرب أوكرانيا إلى تحويل التحالفات الجيوسياسية العالمية بشكل كبير، مما أدى إلى شراكات استراتيجية جديدة وتعزيز التحالفات القائمة. وكان أحد أهم هذه التطورات هو تعميق التعاون العسكري بين روسيا وإيران. فقد وجدت الدولتان، اللتان كانتا حذرتين تاريخياً من بعضهما البعض بسبب مصالحهما الإقليمية المعقدة، أرضية مشتركة في التعاون العسكري، وخاصة في مواجهة العقوبات التي فرضها الغرب والعزلة الجيوسياسية. ومع مواجهة روسيا لصعوبات متزايدة في دعم جهودها الحربية ضد أوكرانيا، برزت إيران كمورد أساسي للمعدات العسكرية، حيث قدمت طائرات بدون طيار وصواريخ وغيرها من التقنيات الحيوية. وفي المقابل، عرضت روسيا على إيران الوصول إلى أنظمة وخبرات عسكرية متقدمة، مما عزز القدرات الاستراتيجية لإيران. ولم يغير هذا الاعتماد المتبادل ديناميكيات حرب أوكرانيا فحسب، بل أثار أيضًا مخاوف بين الدول الغربية بشأن العواقب الطويلة الأجل لمحور روسيا وإيران المعزز[٣٣] .

كان توفير إيران للطائرات بدون طيار، وخاصة طائرات "شاهد-١٣٦" بدون طيار، أحد أبرز جوانب التعاون العسكري بين روسيا وإيران. وكانت هذه الطائرات بدون طيار، التي غالبًا ما تستخدم في أسراب، مفيدة في الحملة الجوية الروسية ضد المدن والبنية التحتية الأوكرانية. ووفقًا للمجلس الأطلسي، تم نشر الطائرات بدون طيار الإيرانية لاستهداف مراكز الطاقة والنقل الحيوية، مما تسبب في اضطرابات كبيرة في العمليات المدنية والعسكرية في أوكرانيا. وقد جعلت فعالية الطائرات بدون طيار من حيث التكلفة والقدرة على التهرب من الدفاعات الجوية التقليدية منها الخيار المفضل للقوات الروسية[٣٤] .

بالإضافة إلى الطائرات بدون طيار، زودت إيران روسيا أيضًا بصواريخ "فاتح-١١٠" الباليستية قصيرة المدى. توفر هذه الصواريخ لروسيا قدرات هجومية محسنة، وخاصة في استهداف المواقع الدفاعية الأوكرانية وخطوط الإمداد. ويؤكد معهد دراسة الحرب أن دقة "فاتح-١١٠" وقدرتها على حمل الحمولة تجعلها أصلًا قيمًا لروسيا في سعيها إلى الحفاظ على الضغط على القوات الأوكرانية. من خلال الاستفادة من تكنولوجيا الصواريخ الإيرانية، تمكنت روسيا من تعويض مخزونها المتناقص من الذخائر الموجهة بدقة، والتي استنفدت بسبب العمليات القتالية المطولة والعقوبات التي حدت من اقتناء المكونات المتقدمة [٣٥].

في حين عزز الدعم العسكري الإيراني المجهود الحربي الروسي، فإن العلاقة بعيدة كل البعد عن كونها من جانب واحد. في المقابل، سعت إيران إلى الوصول إلى التكنولوجيا العسكرية الروسية، وخاصة أنظمة الدفاع الجوي المتقدمة والطائرات المقاتلة. أحد عمليات الاستحواذ الرئيسية التي تسعى إيران إلى الحصول عليها هو نظام الدفاع الجوي S-٤٠٠ ، وهي منصة متطورة قادرة على اكتشاف وتحييد التهديدات الجوية على مسافات طويلة. من شأن هذا الاستحواذ أن يعزز بشكل كبير قدرة إيران على الدفاع ضد الضربات الجوية المحتملة من الولايات المتحدة أو إسرائيل، وهما دولتان نظرتا تاريخيًا إلى التقدم العسكري الإيراني بقلق [٣٦].بالإضافة إلى ذلك، أعربت إيران عن اهتمامها بشراء طائرات مقاتلة روسية من طراز سو-٣٥، والتي من شأنها أن تمثل ترقية كبيرة لأسطول الطائرات الإيراني المتقادم. إن إدراج طائرات سو-٣٥ في القوات الجوية الإيرانية من شأنه أن يعزز قدراتها على التفوق الجوي، مما يسمح لها بمواجهة التهديدات المحتملة بشكل أكثر فعالية. وقد أثار احتمال حدوث مثل هذه التحويلات انتقادات من صناع السياسات الغربيين، الذين يزعمون أن تزويد إيران بمعدات عسكرية متقدمة من شأنه أن يزعزع استقرار الشرق الأوسط الأوسع .وبصرف النظر عن هذه الاستحواذات البارزة، ساعدت روسيا إيران أيضًا في تطوير صناعتها الدفاعية المحلية. ويذكر المجلس الأطلسي أن خبراء الدفاع الروس قدموا الدعم الفني للمشاريع الصناعية العسكرية الإيرانية، بما في ذلك الجهود المبذولة لتحسين إنتاج الصواريخ المحلية وقدرات الحرب الإلكترونية. ويعزز هذا التعاون قدرة إيران على تصنيع الأسلحة المتقدمة محليًا، مما يقلل من اعتمادها على الموردين الأجانب ويعزز استقلاليتها الاستراتيجية[٣٧] .

إن العلاقات العسكرية المتزايدة بين روسيا وإيران لها تداعيات استراتيجية كبيرة، سواء بالنسبة لحرب أوكرانيا أو بالنسبة للأمن الإقليمي الأوسع. وكانت إحدى العواقب المباشرة هي تكثيف العقوبات الغربية التي تستهدف الدولتين. فقد نفذت وزارة الخارجية الأميركية قيوداً اقتصادية إضافية تهدف إلى تعطيل سلاسل التوريد التي تسهل التعاون العسكري بين روسيا وإيران. وتستهدف هذه العقوبات الكيانات المشاركة في إنتاج ونقل المعدات العسكرية، بما في ذلك مصنعي الطائرات بدون طيار وشركات الخدمات اللوجستية التي تسهل شحن الأسلحة [٣٨].وعلى الرغم من هذه التدابير، فإن التعاون العسكري بين البلدين لا يزال يتطور. ومن بين المخاوف الناشئة إمكانية إجراء مناورات عسكرية مشتركة وتبادل المعلومات الاستخباراتية. وتشير التقارير الصادرة عن المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية إلى أن روسيا وإيران أجرتا مناورات بحرية في بحر قزوين، مما يشير إلى تعميق العلاقات الاستراتيجية[٣٩] . وتزيد اتفاقيات تبادل المعلومات الاستخباراتية بين موسكو وطهران من تعقيد الجهود الغربية لمواجهة نفوذهما المتزايد . بالإضافة إلى ذلك، فإن الشراكة لها تداعيات أوسع على الشرق الأوسط، حيث قد تؤدي القدرات العسكرية الإيرانية المحسنة إلى تغيير ميزان القوى. إن الجيش الإيراني الأكثر تقدماً من الناحية التكنولوجية قد يشجع

حلفاء طهران الإقليميين، بما في ذلك حزب الله في لبنان والمتمردين الحوثيين في اليمن، مما يؤدي إلى زيادة عدم الاستقرار. يحذر المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية من أن استحواذ إيران على أسلحة روسية متقدمة قد يشجع على سياسات أكثر عدوانية، مما يؤدي إلى تفاقم التوترات مع إسرائيل ودول الخليج[٤٠] .

استجابت الدول الغربية للتعاون العسكري بين روسيا وإيران بمزيج من التدابير المضادة الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية. كان أحد الجوانب الرئيسية هو توفير أنظمة دفاع جوي متقدمة لأوكرانيا لمواجهة الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية التي تستخدمها القوات الروسية. زود البنتاغون أوكرانيا ببطاريات صواريخ باتريوت وأنظمة الدفاع الجويNASAMS ، مما أدى إلى تحسين قدرتها على اعتراض التهديدات الجوية الواردة بشكل كبير[٤١] . بالإضافة إلى ذلك، زادت الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي من جهود تبادل المعلومات الاستخباراتية لتتبع وتعطيل شحنات الأسلحة بين إيران وروسيا .

وعلاوة على ذلك، تم بذل جهود دبلوماسية للضغط على إيران لتقليص دعمها العسكري لروسيا. عقد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة مناقشات بشأن امتثال إيران لحظر الأسلحة، حيث دعت الدول الغربية إلى فرض تطبيق أكثر صرامة[٤٢،٤٣] . ومع ذلك، قوبلت هذه التدابير بمقاومة من روسيا والصين، اللتين تتمتعان بحق النقض ومصالح استراتيجية في الحفاظ على العلاقات مع إيران .وكان هناك رد فعل حاسم آخر وهو زيادة الدعم للخصوم الإقليميين لإيران. فقد سارع مجلس التعاون الخليجي إلى إبرام اتفاقيات دفاعية مع الدول الغربية، مما أدى إلى تعزيز التعاون العسكري بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. وتهدف هذه الخطوة إلى موازنة القوة العسكرية المتنامية لإيران وردع العدوان المحتمل في المنطقة[٤٤] .

لقد حفزت حرب أوكرانيا تحولاً كبيراً في العلاقات بين روسيا وإيران، وعززت التعاون العسكري الأعمق الذي له آثار استراتيجية تتجاوز ساحة المعركة. ولعبت إمدادات إيران من الطائرات بدون طيار والصواريخ دوراً حاسماً في دعم المجهود الحربي الروسي، في حين عزز نقل روسيا للتكنولوجيا العسكرية المتقدمة إلى إيران قدرات طهران الدفاعية. وقد أثار هذا الترابط المتزايد مخاوف بين الدول الغربية، مما دفع إلى فرض عقوبات مكثفة، وتدابير عسكرية مضادة، وجهود دبلوماسية للحد من الشراكة .وفي حين تظل استدامة هذا التحالف غير مؤكدة، فإن العديد من العوامل سوف تشكل مساره المستقبلي. وسوف تؤثر فعالية العقوبات الغربية، ونتيجة حرب أوكرانيا، والمشهد الجيوسياسي الأوسع نطاقاً على كيفية تطور التعاون بين روسيا وإيران. بالإضافة إلى ذلك، فإن التحديات الاقتصادية والسياسية الداخلية داخل كل من الدولتين قد تؤثر على قدرتهما على الحفاظ على شراكة استراتيجية طويلة الأجل. ومع استمرار تحول ديناميكيات القوة العالمية، فإن التعاون العسكري بين روسيا وإيران سيظل قضية رئيسية تشكل الأمن الدولي والاستقرار الإقليمي.

قبل الغزو الروسي الكامل لأوكرانيا، كانت العلاقة العسكرية والأمنية بين موسكو وطهران تتسم في المقام الأول بديناميكية الراعي والعميل، حيث كانت روسيا هي الراعي الذي يزود إيران بالمعدات العسكرية. وقد أعاد تزويد إيران لروسيا بتكنولوجيا الطائرات بدون طيار، والتي لعبت دورًا مهمًا في أوكرانيا، تشكيل هذه الديناميكية لدرجة أن المسؤولين الأميركيين يحذرون من أن موسكو وطهران تعملان الآن على تطوير "شراكة دفاعية كاملة" . كانت الشراكة العسكرية الإيرانية الروسية قد تكثفت بالفعل بعد أن بدأت الدولتان التعاون النشط في الحرب الأهلية السورية. ومن المرجح أن الاتصالات العسكرية التي أقيمت في سوريا سهلت على روسيا وإيران الانخراط بشكل أسرع في نقل الطائرات بدون طيار والذخائر التي تم استخدامها داخل أوكرانيا. ومن المعتقد أن إيران وروسيا تستخدمان في المقام الأول طائرات الشحن والسفن لعبور بحر قزوين لنقل هذه المعدات العسكرية. لا تعمل هذه التطورات على تعزيز قدرات روسيا في أوكرانيا فحسب، بل إنها تمتلك أيضًا القدرة على تزويد إيران بيد عسكرية أقوى في الشرق الأوسط.

ثانيا: المساعدات العسكرية الإيرانية لروسيا

إن الجانب الأكثر تهديدًا في العلاقة الروسية الإيرانية الأخيرة لأوروبا هو استخدام روسيا للطائرات بدون طيار القتالية الإيرانية لاستهداف البنية التحتية الحيوية (بما في ذلك شبكات الكهرباء ومحطات الرادار). نشرت روسيا أسرابًا من الطائرات بدون طيار الإيرانية الصنع في هجمات منتظمة داخل أوكرانيا منذ سبتمبر ٢٠٢٢. يزعم الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، أن روسيا سعت إلى الحصول على ما لا يقل عن ٢٤٠٠ طائرة بدون طيار من إيران. بعد إنكار متكرر، اعترفت السلطات الإيرانية في النهاية في نوفمبر ٢٠٢٢ بتسليم أعداد صغيرة من الطائرات بدون طيار إلى روسيا قبل بدء الصراع في أوكرانيا. يواصل المسؤولون الإيرانيون إنكار أن إيران تقدم مساعدة عسكرية لحرب روسيا في أوكرانيا. ومع ذلك، يعترف بعض المعلقين الإعلاميين المتشددين في إيران وحتى يحتفلون باستخدام الطائرات بدون طيار الإيرانية في أوكرانيا.

يزعم المسؤولون الأمريكيون أن الدفعة الأولى من الطائرات بدون طيار الإيرانية تم تسليمها إلى روسيا في أغسطس ٢٠٢٢. وشملت هذه سلسلة Shahed-١٣١/١٣٦ الإيرانية، وهي "طائرات بدون طيار انتحارية" تهدف إلى الانفجار عند ملامستها؛ وتواجه روسيا تحديات كبيرة في تصنيع ما يكفي من الصواريخ لدعم هجومها المستمر في أوكرانيا. وتساعد الطائرات الإيرانية بدون طيار في سد الفجوات. بدأ استثمار إيران في الطائرات بدون طيار منخفضة التكلفة خلال حرب الثمانينيات مع العراق. ويرجع ذلك جزئيًا إلى الحاجة إلى التعويض عن قوتها الجوية المتدهورة، والتي لم تتمكن من الحفاظ على أسطولها من الطائرات المصنعة في الولايات المتحدة بشكل أساسي بسبب العقوبات. كان برنامج الطائرات بدون طيار الإيراني ناجحًا للغاية، وتمكنت روسيا من مراقبة عرض قدرات الطائرات بدون طيار الإيرانية على

مدى العقود الأربعة الماضية. وتزعم الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية أن هذه المظاهرات شملت هجمات بطائرات بدون طيار متطورة على البنية التحتية للنفط السعودي في عام ٢٠١٩. ويظهر تقرير صادر عن مركز أبحاث التسلح في الصراعات (CAR) ومقره المملكة المتحدة حول الطائرات بدون طيار الإيرانية التي أسقطتها أوكرانيا أن هذه الأنظمة تعتمد بشكل كبير على المكونات التي تصنعها شركات أمريكية وأوروبية وآسيوية في عامي ٢٠٢٠-٢٠٢١. تُستخدم هذه المكونات لأغراض عسكرية وتجارية وبالتالي فهي متاحة على نطاق واسع. ويخلص نفس التقرير إلى أن إيران وروسيا كانتا تخزنان مكونات الطائرات بدون طيار قبل بدء حرب أوكرانيا[٤٥].

كما أفاد مركز أبحاث التسلح في الصراعات بالعثور على أجزاء صينية تم إنتاجها في عام ٢٠٢٣ في طائرات بدون طيار إيرانية تستخدم في أوكرانيا، وفي تقرير آخر وجدت المنظمة أن روسيا بدأت في إنتاج نسختها الخاصة من الطائرة .Shahed-١٣٦ تعكس هذه القدرة الجديدة قدرة إيران على مساعدة روسيا في تجاوز العقوبات الغربية المفروضة منذ عام ٢٠٢٢. وكما يقول أحد الخبراء فإن "استعانة إيران بمصادر خارجية لجهود التهريب والتنويع تجعل من السهل على روسيا الحصول على مكونات رئيسية لمنتجاتها الكيميائية والصناعية الأولية بكميات أكبر"، وسيجعل من الصعب على الاستخبارات الغربية تعقبها[٤٦]. وفقًا للقوات الأوكرانية، أسقطت البلاد غالبية الأنظمة الإيرانية البطيئة الحركة. ومع ذلك، توفر هذه الطائرات بدون طيار لروسيا ثلاث مزايا رئيسية:

أولاً، إنها طريقة رخيصة للقوات الروسية لتشويش أنظمة الدفاع الجوي الأوكرانية قبل إطلاق الصواريخ المجنحة[٤٧]. ثانيًا، يأتي إسقاط الطائرات بدون طيار الإيرانية بسعر مرتفع لأوكرانيا. في المتوسط، تقدر تكلفة تصنيع الطائرات بدون طيار بنحو ٢٠ ألف دولار، بينما تتراوح تكلفة إسقاطها بين ١٤٠ ألف دولار و٥٠٠ ألف دولار. وكما يشير زيلينسكي، فإن نشر هذه الطائرات بدون طيار في المناطق المدنية يمكن أن يعطي روسيا بمرور الوقت ميزة في استنزاف الموارد الأوكرانية والمعنويات المدنية. وثالثًا، يمكن للطائرات بدون طيار المصممة من قبل إيران أن تسبب أضرارًا أكبر إذا تعاونت روسيا وإيران على تحسينها. في فبراير/شباط، ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال مزاعم من مسؤولين لم تسمهم بأن البلدين في محادثات لبناء مصنع مشترك في منطقة تتارستان الروسية لتصنيع طائرات بدون طيار أكثر تطوراً من تصميم إيران. وتتوقع المخابرات الأمريكية أن يكون هذا المصنع جاهزًا للعمل بحلول أوائل عام ٢٠٢٤، ويذكر أنه سيكون قادرًا على إنتاج كميات "أعلى بكثير" من الطائرات بدون طيار مقارنة بالتسليمات الإيرانية السابقة لروسيا.

أفادت صحيفة وول ستريت جورنال نقلاً عن مسؤولين في الشرق الأوسط لم تسمهم أن إيران أرسلت أكثر من ٣٠٠ ألف قذيفة مدفعية ومليون طلقة ذخيرة إلى روسيا. في ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٢٢، زعمت

الولايات المتحدة أيضًا أن إيران تفكر في تزويد روسيا بمئات الصواريخ الباليستية قصيرة المدى. يُعتقد أن روسيا استنفدت مخزونها من الصواريخ الباليستية، وعلى الرغم من أن الأسلحة الإيرانية أقل دقة من نظيراتها الروسية، إلا أنها قد تكون أصلًا مهمًا. وفقًا لغوستاف جريسيل من المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، فإن الاستخدام المحتمل لهذه الصواريخ يمثل تحديًا أكبر من الطائرات بدون طيار للقوات الأوكرانية حيث سيكون من الصعب اعتراضها [٤٧]. لا يوجد حاليًا أي دليل على أن إيران نقلت صواريخ إلى روسيا. قد يكون أحد الأسباب هو أن إيران اعترفت بأن مخاطر الاستجابة الغربية لا تستحق الفوائد المحتملة التي تقدمها روسيا لمثل هذه الصفقة. يوضح أحد المسؤولين الإيرانيين السابقين أن من غير المرجح أن تزود إيران روسيا بالصواريخ، لأن هذا من شأنه أن يزيد بشكل كبير من التهديد المتصور لأوروبا [٤٨]. يقول المسؤولون الأوروبيون إنهم أوضحوا لإيران أن نقل الصواريخ الباليستية قصيرة المدى سيكون "خطًا أحمر" وسيؤدي إلى رد فعل قاسٍ من الغرب[٤٩] .

هناك سبب آخر قد يكون وراء امتناع إيران عن إبرام صفقة الصواريخ الباليستية قصيرة المدى مع روسيا وهو ضرورة عملية. يوضح أحد المسؤولين العسكريين الأوروبيين السابقين أن إيران قد تحتاج إلى تخزين مواردها الخاصة كرادع ضد الغرب وإسرائيل خلال التوترات العسكرية الحالية [٥٠]. كما أن المحادثات بين روسيا وإيران بشأن هذه الصفقة ربما توقفت لأنهما لا يستطيعان الاتفاق على الشروط. بشكل عام، من المرجح أن تتأثر حسابات إيران بشأن نقل الصواريخ الباليستية قصيرة المدى إلى روسيا بالسعر الذي ترغب موسكو في تقديمه، وعلاقات إيران مع الغرب. في فبراير ٢٠٢٣، أصدر الحرس الثوري الإسلامي الإيراني تهديدًا مبطنًا لأوروبا بشأن الصواريخ، مشيرًا إلى أن إيران حدت حتى الآن من مدى صواريخها "احترامًا لأوروبا". قد يشير هذا الخطاب إلى أن إيران قد تصبح أيضًا أكثر انفتاحًا على نقل الصواريخ إلى روسيا إذا ساءت العلاقات مع أوروبا بشكل كبير. كما أشار أحد كبار الخبراء الإيرانيين، "إذا تعرضت إيران لمزيد من الضغط من قبل الغرب، فقد يستخدمون الصواريخ الباليستية قصيرة المدى كورقة لفرض ضغوط أكبر على الغرب ردًا على ذلك[٥١].

إلى جانب عمليات نقل الأسلحة، هناك قلق غربي آخر يتمثل في إمكانية تعزيز إيران للقوى العاملة الروسية. وبحسب ما ورد، حددت المخابرات الأمريكية أن المدربين العسكريين للحرس الثوري الإيراني تم إرسالهم إلى القواعد الروسية في شبه جزيرة القرم في عام ٢٠٢٢ للتغلب على المشاكل التشغيلية مع الطائرات بدون طيار الإيرانية الصنع. قد تتطلع روسيا إلى تجنيد قوات من الجماعات غير الحكومية المدعومة من إيران والنشطة في الشرق الأوسط. في مارس ٢٠٢٢، ادعت روسيا أن حوالي ١٦٠٠٠ متطوع من الشرق الأوسط مستعدون للقتال في أوكرانيا. ومع ذلك، في ضوء تمرد فاغنر، فمن غير الواضح ما إذا كان هذا سيتحقق.

ثالثا: المساعدات العسكرية الروسية لإيران

يشعر المسؤولون الأوروبيون بالقلق من أن موسكو ستجعل إيران تقدم دعماً عسكرياً أكبر للحرب في أوكرانيا مما كانت مستعدة لتقديمه في السابق في مقابل التكنولوجيا العسكرية والمساعدة الأمنية[٥٢]. كما تشعر الحكومات الغربية بالقلق من أن استعداد روسيا لنقل أسلحة أكثر تطوراً إلى إيران من شأنه أن يوفر لطهران المزيد من القدرة العسكرية لتعزيز أجندتها الإقليمية، وخاصة ضد إسرائيل والمملكة العربية السعودية. يحذر المسؤولون الأمريكيون من أن روسيا منخرطة بالفعل في مستوى غير عادي من التعاون الدفاعي مع إيران، والذي يمتد إلى الإلكترونيات والدفاع الجوي وطائرات الهليكوبتر الهجومية والرادارات. في سبتمبر/أيلول عام ٢٠٢٢، أعلنت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية إسنا أن القوات الجوية الإيرانية تلقت طائرات تدريب قتالية روسية الصنع من طراز ياك-١٣٠ يمكنها مساعدة الطيارين على الطيران بطائرات مقاتلة أكثر تقدماً. ويشمل هذا التعاون النقل المحتمل لطائرات سوخوي سو-٣٥ المقاتلة الروسية التي يمكن أن تعمل على تعزيز أداء الترسانة العسكرية الإيرانية بشكل كبير. كما أثارت الولايات المتحدة مخاوف بشأن قيام روسيا بتوفير التدريب للطيارين الإيرانيين.

لا يزال توقيت ومحتوى عمليات تسليم طائرات سو-٣٥ غير مؤكد نظراً للتحديات المحيطة بإنتاج روسيا للمعدات الدفاعية[٥٣]. في مارس/آذار، أفادت وكالة أنباء إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن صفقة الشراء "اكتملت". وفي يوليو/تموز، اقترح وزير الدفاع الإيراني أن الصفقة انهارت، معلقًا على أن إيران لديها قدرة محلية لتلبية احتياجاتها. وفي وقت لاحق، قلل مسؤول دفاعي إيراني آخر من حاجة إيران لشراء الطائرات الروسية. ووفقًا لأحد خبراء الدفاع، فإن هذا قد يشير إلى أن روسيا وإيران لم تتمكنا حتى الآن من الاتفاق على الشروط والأحكام بشأن الطائرات المقاتلة، أو أن هناك تأخيرًا فنيًا في تسليم الطائرات بسبب القيود المفروضة على الإنتاج الروسي[٥٤]. ومع ذلك، وفقًا لخبير دفاع روسي، فإن الصفقة مهمة للغاية لكلا الجانبين بحيث لا يمكن أن تفشل في النهاية[٥٥]. واقترح خبير دفاعي روسي آخر أن صفقة سو-٣٥ كانت وسيلة لروسيا لإظهار حسن نيتها تجاه إيران، مشيرًا إلى أن "هناك ثمنًا يجب دفعه مقابل كل شيء. في مرحلة معينة، احتاجت روسيا إلى إظهار أنها شريك مخلص[٥٦].

من الممكن أن يتم تسليم طائرات مقاتلة من طراز Su-٣٥ في المستقبل كدفعة مقابل طائرات بدون طيار إيرانية أو أسلحة أكثر تقدمًا (مثل الصواريخ الباليستية قصيرة المدى). لا يوجد حساب عام من المسؤولين الغربيين أو الروس أو الإيرانيين حول ما دفعته روسيا بالفعل مقابل الطائرات بدون طيار التي سلمتها إيران. ولكن وفقًا لخبير أمني إيراني، أعطت روسيا إيران ٦ مليارات دولار نقدًا مقابل طائرات بدون طيار[٥٧]. ذكرت سكاي نيوز في نوفمبر ٢٠٢٢ أنه في مقابل الطائرات بدون طيار الإيرانية، وصلت طائرات عسكرية روسية إلى طهران في أغسطس ٢٠٢٢، تحمل مبلغًا كبيرًا من النقود، وصاروخ مضاد للدبابات

بريطاني من طرازNLAW ، وصاروخ مضاد للدبابات أمريكي من طرازJavelin ، وصاروخ مضاد للطائرات أمريكي من طراز .Stinger يمكن لإيران استخدام المعرفة المكتسبة من هذه المعدات الغربية لتطوير إنتاجها المحلي للأسلحة.

وفقًا لوثائق حصلت عليها صحيفة واشنطن بوست، من المقرر أن تتلقى إيران أكثر من مليار دولار لإنتاج مصنع الطائرات بدون طيار المشترك في تتارستان "على أن يتم دفعه بالدولار أو الذهب" بسبب تقلب الروبل الروسي. وهناك مجال آخر يتم مراقبته عن كثب في العواصم الغربية والشرق الأوسط وهو ما إذا كانت روسيا تزود إيران بنظام الدفاع الجوي S-٤٠٠ وتدعم إنتاج الصواريخ الإيرانية. يمكن لأنظمة الدفاع الجوي المتقدمة من روسيا أن تعزز قدرة إيران على الدفاع ضد الهجمات المحتملة على بنيتها التحتية النووية وغيرها من المرافق الاستراتيجية. وكما يلاحظ أحد الخبراء، فإن القادة الإيرانيين أقل اهتمامًا بأنظمة S-٤٠٠ كمنتج نهائي من اهتمامهم بتلقي التكنولوجيا لتطوير أنظمة الصواريخ المحلية[٥٨].

إن التكنولوجيا السيبرانية الروسية هي أيضًا قدرة تريد إيران اكتسابها، كما هو موضح في اتفاقية نوفمبر ٢٠٢٠ بين البلدين بشأن أمن المعلومات. يساعد التعاون في مجال الأمن السيبراني والمراقبة كلا الحكومتين على مواجهة التهديدات المحلية المتصورة، وخاصة خوفهما من تورط الغرب في الاحتجاجات والاضطرابات الداخلية. في مارس/آذار عام ٢٠٢٠، ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال أن موسكو زودت طهران بتحديث كبير لقدراتها الرقمية من خلال تقديم برامج مراقبة قوية مع إمكانية تمكين الهجمات الإلكترونية التخريبية. ويعتقد المسؤولون الأمريكيون أن إيران تستخدم برامج روسية لقمع الاحتجاجات، بما في ذلك عن طريق إبطاء حركة الإنترنت والاتصالات، وتسهيل تحديد هوية المتظاهرين والقبض عليهم[٥٩]. في عام ٢٠٢١، زودت روسيا إيران بالقمر الصناعي كانوبس-٥، والذي كان ذا أهمية لأنه زود إيران بقدرات تجسس لا مثيل لها. وأكد نشر روسيا لقمر صناعي إيراني آخر روسي الصنع في المدار في أغسطس/آب ٢٠٢٢ ليس فقط تعاونهما المتزايد في الفضاء ولكن أيضًا في مجال الاستخبارات. واجه هذا المشروع معارضة من إسرائيل والولايات المتحدة بسبب المخاوف من أنه قد يؤدي إلى تطوير أنظمة توجيه الصواريخ الإيرانية.

وأخيرا، تكتسب إيران المعرفة الميدانية من الحرب الروسية في أوكرانيا. وكما قال أحد الخبراء، تستطيع روسيا أن تزود إيران بمعلومات حساسة بشأن أنظمة الدفاع الجوي الأوكرانية وفعالية المعدات العسكرية الغربية[٦٠]. في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أنفقت إيران موارد واسعة النطاق على التعلم من العمليات الروسية في الشيشان ومن العمليات العسكرية الأميركية في غزو العراق عام ٢٠٠٣. ووفقا لأحد الخبراء، فقد أثر هذا بشكل كبير على "العقيدة العملياتية الإيرانية"، وقد يكون نموذج مماثل للتعلم في أوكرانيا قيما[٦١].

رابعا: مستقبل العلاقات الروسية-الايرانية في المجال العسكري

على الرغم من الحماس المتزايد في كل من إيران وروسيا لتعميق العلاقات العسكرية، فإن هناك عدة عوامل من شأنها أن تحد من مدى احتمالية ذهابها. أولاً، كما يوضح أحد الخبراء الإيرانيين، في حين تغلب الجانبان في الغالب على العقبات السياسية، "فإن المشاكل فنية: قد لا تتمتع إيران بالقدرة على دفع ثمن روسيا، وقد لا تتمكن روسيا من إنتاج المعدات التي تحتاجها إيران في مواعيد زمنية متفق عليها"[٦٢]. وقد تصبح هذه الصعوبات عقبات رئيسية. تكافح روسيا للحفاظ على خطوط إنتاجها لشن الحرب في أوكرانيا ومن غير المرجح أن تعطي الأولوية لاحتياجات إيران. ويوضح التأخير الطويل في تسليم الطائرات المقاتلة الروسية إلى إيران هذه المعضلة.

كما يلاحظ خبير آخر، تريد إيران تجنب "تكرار تجربة الماضي عندما كانت الصفقات مع روسيا غير قابلة للتنفيذ"[٦٣]. على سبيل المثال، في عام ٢٠٠٧، وافقت إيران على شراء نظام الصواريخ أرض-جو الروسي S-٣٠٠ ، بل ودفعت ثمنه، لكنها واجهت بعد ذلك صراعًا شاقًا لتلقي النظام بالفعل. ولقد كانت الحكومة الروسية تتلكأ لسنوات، ثم حظرت في عام ٢٠١٠، كجزء من الضغوط الدولية ضد الأنشطة النووية غير المشروعة لإيران، تسليم صواريخ إس-٣٠٠ وغيرها من الأسلحة إلى إيران. وهذا بدوره دفع إيران إلى مقاضاة روسيا. وفي النهاية سلمت موسكو النظام في عام ٢٠١٦.

وقد تحدد هذه التجربة، إلى جانب حالة عدم اليقين الأخيرة بشأن طائرات سو-٣٥، إلى أي مدى قد تكون إيران على استعداد للذهاب في نقل الأسلحة إلى موسكو إذا كانت هذه التحويلات تثير استياء الغرب. وتبرز الصواريخ الباليستية قصيرة المدى كمثال مهم على المكان الذي قد ينطبق فيه هذا المنطق. ومن ناحية أخرى، إذا مضت روسيا قدماً في تسليم الطائرات المقاتلة، وتوفير المزيد من أنظمة الأقمار الصناعية لإيران، فمن المرجح أن يؤثر هذا على المواقف الإيرانية تجاه تزويد روسيا بأسلحة أكثر فتكاً لاستخدامها في أوكرانيا.

ثانياً، هناك قيود استراتيجية على زيادة التعاون العسكري على الجانبين. ولا تزال المخاوف قائمة في موسكو من أن الاتجاهات السياسية المحلية في إيران قد تؤدي في نهاية المطاف إلى ميل إيران نحو الغرب [٦٤]. وفي هذا السيناريو، لن ترغب موسكو في أن تمتلك طهران تكنولوجيا ومعدات عسكرية روسية قيمة. ومن المرجح أيضاً أن تتردد روسيا في إضفاء الطابع الرسمي على تحالف عسكري مع إيران لأن هذا من شأنه أن يحد من حريتها مع دول مهمة أخرى، مثل إسرائيل والمملكة العربية السعودية، التي تظل متشككة بشدة في العلاقات العسكرية الروسية الإيرانية.

لقد أدت علاقات روسيا مع خصوم إيران في الشرق الأوسط في كثير من الأحيان إلى صدامات مع طهران. على سبيل المثال، في يوليو/تموز، أصدرت روسيا بيانًا مشتركًا مع مجلس التعاون الخليجي يتحدى بشكل

مباشر السيطرة الإقليمية لإيران على ثلاث جزر خليجية. (أصدرت الصين بيانًا مشابهًا في عام ٢٠٢٢). وقد أدى هذا إلى رد فعل عنيف من قبل الحكومة الإيرانية، بما في ذلك استدعاء وزارة الخارجية الإيرانية رسميًا للسفير الروسي في إيران لشرح الأمر. دعت مجموعة من كبار الدبلوماسيين الإيرانيين السابقين الحكومة إلى إعادة التوازن في علاقاتها بين الغرب وروسيا، ووصفوا خطوة موسكو بأنها "غير مقبولة تمامًا". حذر وزير الخارجية الإيراني السابق، جواد ظريف، وهو مؤيد قديم لموازنة الشرق والغرب في العلاقات الخارجية، من أن طهران مضللة في اعتقادها بأن موسكو يمكن أن تكون حليفة. حتى الشخصيات السياسية الإيرانية والمنافذ الإعلامية المرتبطة بالفصائل المحافظة انتقدت روسيا علنًا. كما لم تستسلم إيران تمامًا للغرب. وكما يقول أحد الخبراء في أعلام إيران، "تتأثر طهران أيضًا بالاستجابة القوية من أوروبا والولايات المتحدة بشأن دعمها العسكري لروسيا"، ولا تريد التضحية بخياراتها لتخفيف العقوبات مع الغرب من خلال وضع كل بيضها في سلة روسيا [٦٥]. في يوليو/تموز، أشار مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ويليام بيرنز، إلى أن "القيادة الإيرانية ترددت في توريد الصواريخ الباليستية إلى الروس ... جزئيًا لأنها قلقة ليس فقط بشأن رد فعلنا ولكن أيضًا بشأن رد الفعل الأوروبي.

بشكل عام، يعتقد صناع القرار الإيرانيون الرئيسيون أن حرب أوكرانيا فتحت فرصًا جديدة لإيران يجب اغتنامها. وكما يوضح أحد الخبراء الإيرانيين، تنظر الدولة العميقة إلى التحولات الجيوسياسية التي خلقتها حرب أوكرانيا على أنها "هدية إلهية لإيران"[٦٦]. ووفقًا لهذا المنظور، سواء فازت روسيا أم لا، يمكن لإيران الاستفادة؛ بنفس الطريقة التي ادعت بها "أوروبا أنها سعت إلى إنهاء الصراع في اليمن لكنها لم تجد أي مشكلة في بيع الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية لدعم القصف"[٦٧]. من خلال إظهار القدرات المتقدمة لطائراتها بدون طيار في أوكرانيا، على سبيل المثال، تحصل إيران فعليًا على إعلانات مجانية لتكنولوجيتها العسكرية التي قد تؤثر على المشترين المحتملين في أفريقيا وأميركا الجنوبية. وكما توقع مسؤول إيراني كبير سابق "كلما طالت الحرب في أوكرانيا، وكلما أصبح تخفيف العقوبات الغربية غير وارد بالنسبة لإيران، كلما عرضت إيران المزيد من التنازلات على روسيا لضمان عدم خسارتها بشكل قاطع في حرب أوكرانيا"[٦٨].

المبحث الرابع: الدور الإيراني في حرب أوكرانيا

كان الدور الإيراني في حرب أوكرانيا في المقام الأول دعماً لروسيا، وإن كانت حريصة على تجنب الظهور علناً كمتورطة بشكل مباشر في الصراع. وقد زودت طهران موسكو بالإمدادات العسكرية، وخاصة في شكل طائرات بدون طيار أو طائرات بدون طيار. وقد استخدمت روسيا هذه الطائرات بدون طيار، مثل شاهد-١٣٦، في هجماتها ضد البنية التحتية الأوكرانية والأهداف العسكرية. ويشكل إمداد إيران بهذه

الطائرات بدون طيار أهمية كبيرة، حيث أثبتت أنها سلاح فعال لروسيا في الحرب، مما يسمح لها بتنفيذ ضربات مستهدفة على المواقع الأوكرانية ومحطات الطاقة والبنية التحتية المدنية.

وقد استخدمت القوات الروسية في أوكرانيا طائرات شاهد بدون طيار، وهي غير مكلفة نسبياً ويمكنها تنفيذ ضربات دقيقة. وقد صُممت الطائرات بدون طيار لتكون منخفضة التكلفة، ومنتجة بكميات كبيرة، وفعالة في توصيل المتفجرات إلى أهداف محددة، مما يجعلها مثالية للطبيعة المطولة للصراع. في حين تمتلك روسيا تكنولوجيا عسكرية متقدمة خاصة بها، إلا أنها واجهت نقصًا في الذخائر الموجهة بدقة بسبب العقوبات والقضايا اللوجستية. ساعدت الطائرات بدون طيار الإيرانية في سد هذه الفجوة، مما مكن روسيا من مواصلة هجومها مع تجنب استنزاف أنظمة الصواريخ الأكثر تكلفة وتطورًا .في مقابل دعمها العسكري، استفادت إيران من علاقات أوثق مع روسيا من حيث التعاون الاقتصادي والعسكري. في المقابل، تكتسب روسيا شريكًا موثوقًا به في جهودها لمقاومة العقوبات الغربية وتعزيز قدراتها العسكرية في أوكرانيا. في حين تقلل الرواية الرسمية من طهران وموسكو من عمق تعاونهما العسكري، فإن الواقع هو أن إيران أصبحت جزءًا أساسيًا من المجهود الحربي الروسي[٦٩،٧٠] .

إن التعاون العسكري بين إيران وروسيا في حرب أوكرانيا مدفوع بعدد من المصالح المشتركة. أحد أهمها رغبة البلدين في تحدي الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي، وخاصة التوسع العسكري للتحالف شرقًا ووجوده المتزايد في أوروبا الشرقية. بالنسبة لروسيا، فإن الحرب في أوكرانيا تدور جزئيا حول منع المزيد من تعديات حلف شمال الأطلسي وإعادة تأكيد مجال نفوذها في الجوار القريب. من ناحية أخرى، لطالما نظرت إيران إلى حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة باعتبارهما تهديدات وجودية، وخاصة بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني وفرض العقوبات الاقتصادية المشلولة. وبالتالي، ترى الدولتان أن تعاونهما جزء من جهد أوسع لمقاومة الهيمنة الغربية .بالإضافة إلى ذلك، تسعى الدولتان إلى تقويض النظام الدولي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، والذي تعتبرانه خاضعا لهيمنة القوى الغربية. من خلال العمل معا في أوكرانيا، تهدف إيران وروسيا إلى إرسال رسالة إلى العالم مفادها أنهما قادرتان على العمل بشكل منسق لموازنة القوة الأميركية. وتشكل المساعدة العسكرية الإيرانية لروسيا عنصرا أساسيا في هذه الاستراتيجية، مما يشير إلى أن الدولتين يمكنهما التعاون عسكريا على الساحة العالمية، على الرغم من اختلافاتهما الإقليمية .ومن بين المصالح المشتركة الأخرى البقاء الاقتصادي. وتواجه كل من إيران وروسيا عقوبات شديدة تفرضها الولايات المتحدة والدول الأوروبية، وقد جعلت الضغوط الاقتصادية من الضروري بالنسبة لهما إيجاد وسائل بديلة للتعاون الاقتصادي. ومن خلال تعميق العلاقات بينهما، يمكنهما التحايل على بعض التحديات المالية واللوجستية التي تفرضها العقوبات الغربية.

ويمتد هذا التعاون الاقتصادي إلى ما هو أبعد من الحرب في أوكرانيا، حيث يستكشف البلدان مشاريع الطاقة المشتركة، والصفقات التجارية، وفرص الاستثمار في قطاعات مثل الدفاع والنفط والغاز[٧١،٧٢] .

إن التعاون العسكري بين إيران وروسيا في حرب أوكرانيا له عدة تداعيات مهمة، سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي. أولاً، إن تعميق التحالف بين إيران وروسيا يشكل تحدياً للجهود الغربية الرامية إلى عزل البلدين. إن الدعم الذي تتلقاه روسيا من إيران يسلط الضوء على القيود التي تفرضها العقوبات الأميركية والأوروبية، حيث تستطيع دول مثل إيران أن تقدم لروسيا مصادر بديلة للدعم العسكري والاقتصادي. وهذا من شأنه أن يقوض الجهود الغربية الرامية إلى عزل روسيا دبلوماسياً واقتصادياً ثانياً، يثير التعاون بين إيران وروسيا المخاوف بشأن انتشار التكنولوجيا العسكرية، وخاصة الطائرات بدون طيار وأنظمة الصواريخ. إن طائرات شاهد بدون طيار التي زودت بها إيران روسيا ليست سوى مثال واحد على كيفية تبادل التكنولوجيات العسكرية بين البلدين. ومن المحتمل أن يكون لهذا التبادل للأسلحة تأثير أوسع على الشرق الأوسط وخارجه، حيث تتمتع إيران بتاريخ في توفير التكنولوجيا العسكرية لحلفائها، بما في ذلك حزب الله وغيره من الجماعات المسلحة. إن احتمال وقوع هذه التكنولوجيات في أيدي جهات فاعلة معادية من شأنه أن يؤدي إلى تصعيد الصراعات الإقليمية وزعزعة استقرار المناطق المتقلبة بالفعل .وعلاوة على ذلك، من المرجح أن يكون للشراكة بين إيران وروسيا في حرب أوكرانيا آثار طويلة الأجل على الأمن العالمي. ومع استمرار البلدين في مقاومة الضغوط الغربية، فإن تعاونهما العسكري قد يصبح نموذجاً للدول الأخرى التي تسعى إلى تحدي النظام الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة. وقد يؤدي التحالف أيضاً إلى تطوير استراتيجيات وتقنيات عسكرية جديدة من شأنها أن تغير توازن القوى في مناطق مثل أوروبا والشرق الأوسط وآسيا[٧٣].

يشكل التعاون العسكري بين إيران وروسيا في حرب أوكرانيا تطوراً مهماً في سياق الجغرافيا السياسية العالمية. وفي حين يتمتع البلدان بتاريخ طويل من التعاون، فإن تعاونهما في حرب أوكرانيا جعلهما أقرب إلى بعضهما البعض في مواجهة المعارضة الغربية المتزايدة. ومن خلال تقديم الدعم العسكري، وخاصة في شكل طائرات بدون طيار، أصبحت إيران شريكاً رئيسياً لروسيا في جهودها لدعم غزوها لأوكرانيا. ويستند هذا التعاون إلى مصالح استراتيجية مشتركة، بما في ذلك الرغبة في مقاومة نفوذ الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي، وتقويض النظام الدولي الذي يهيمن عليه الغرب، وتأمين البقاء الاقتصادي من خلال التهرب من العقوبات .إن تداعيات هذا التعاون تمتد إلى ما هو أبعد من حرب أوكرانيا، مع إمكانية زعزعة استقرار الأمن الإقليمي وتحدي توازن القوى العالمي. ومع استمرار إيران وروسيا في تعميق علاقاتهما العسكرية، فقد يشهد العالم المزيد من التطورات في تجارة الأسلحة، وانتشار التكنولوجيا

العسكرية، وإعادة التنظيم الجيوسياسي. إن التحالف بين إيران وروسيا هو شهادة على تعقيدات الحرب الحديثة والديناميكيات المتغيرة للقوة الدولية[٧٤] .

المبحث الخامس: تأثير حرب أوكرانيا على العلاقات بين إيران وروسيا

لقد أثرت الحرب في أوكرانيا، التي بدأت في عام ٢٠٢٢، بشكل كبير على المشهد الجيوسياسي، وأعادت تشكيل العلاقات الثنائية والإقليمية والدولية، وخاصة بين روسيا وإيران. ووجدت الدولتان، اللتان كانتا متحالفتين تاريخيًا على عدة جبهات استراتيجية، نفسيهما تبحران عبر شبكة معقدة من الفرص والتهديدات في أعقاب الصراع. وقد أدت الحرب إلى تسريع التغيرات في ديناميكيات القوة العالمية، مما أدى إلى زيادة العقوبات الاقتصادية على روسيا، وتحولات في أسواق الطاقة، وتحالفات استراتيجية جديدة. يستكشف هذا البحث تأثير حرب أوكرانيا على العلاقات بين إيران وروسيا، وتحليل الفرص والتحديات التي نشأت وتقييم الآثار الأوسع لكلا البلدين.

لقد خلق الصراع في أوكرانيا العديد من الفرص لإيران، التي سعت إلى الاستفادة من الانقسامات العالمية والتحولات في المشاركات الاقتصادية والدبلوماسية. وتشمل هذه الفرص الخلاف المتزايد بين القوى العالمية الكبرى، وأزمة الطاقة في أوروبا، والتأثير على المفاوضات النووية، وتقليص التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط .كان أحد أهم آثار حرب أوكرانيا هو الانقسام المتزايد بين روسيا والقوى الغربية، وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. وقد خلق هذا التحول الجيوسياسي فرصة لإيران لتعزيز موقفها من خلال مواءمة نفسها بشكل أوثق مع روسيا والصين بموجب سياستها "النظر إلى الشرق". تهدف هذه الاستراتيجية إلى تخفيف العقوبات الاقتصادية الغربية وزيادة النفوذ السياسي في الشؤون العالمية. [٧٥,٧٦]

ترى إيران هذا الانقسام كفرصة لتعميق علاقاتها الاقتصادية والاستراتيجية مع روسيا. تاريخيًا، عملت روسيا كقوة موازنة في السياسة الخارجية الإيرانية، وخاصة في مواجهة النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط. أدت الحرب إلى زيادة المشاركة الدبلوماسية بين طهران وموسكو، مع توقيع العديد من الاجتماعات رفيعة المستوى والاتفاقيات في مجالات مثل الدفاع والتجارة والتعاون في مجال الطاقة .إن التطور الرئيسي الآخر الناجم عن حرب أوكرانيا هو أزمة الطاقة في أوروبا. أدى فرض العقوبات الغربية على صادرات النفط والغاز الروسية إلى إعادة تشكيل عالمية لسلاسل توريد الطاقة. ومع سعي الدول الأوروبية إلى تقليل اعتمادها على الطاقة الروسية، اكتسب الموردون البدلاء، بما في ذلك إيران، أهمية استراتيجية .حاولت إيران، التي تمتلك ثاني أكبر احتياطيات من الغاز الطبيعي ورابع أكبر احتياطيات من النفط الخام في العالم، استخدام هذه الأزمة للدفع نحو إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة(JCPOA) ، بحجة أن رفع العقوبات المفروضة على قطاع الطاقة لديها من شأنه أن يساعد في استقرار أسواق الطاقة

العالمية). أظهرت الدول الأوروبية، التي تواجه ارتفاع تكاليف الطاقة وانقطاعات الإمدادات، اهتمامًا متجددًا بإحياء المفاوضات مع إيران، على الرغم من أن التقدم لا يزال بطيئًا بسبب التعقيدات الجيوسياسية. [٧٧،٧٨]

كانت للحرب في أوكرانيا أيضًا آثار على المفاوضات النووية الإيرانية. قبل الحرب، لعبت روسيا دورًا رئيسيًا في محادثات الاتفاق النووي، مما سهل المناقشات بين إيران والقوى الغربية. ومع ذلك، مع تصاعد التوترات بين روسيا والغرب، حاولت موسكو ربط المفاوضات النووية الإيرانية بمصالحها الخاصة، وطالبت بضمانات بأن العقوبات الغربية على روسيا لن تؤثر على تعاونها الاقتصادي مع إيران .أدت هذه الخطوة إلى تعقيد الجهود الدبلوماسية، مما أدى إلى تأخير إحياء الاتفاق النووي. ومع ذلك، سعت إيران إلى الحفاظ على المفاوضات مع كل من الدول الغربية وروسيا، باستخدام الوضع لانتزاع التنازلات من كلا الجانبين. وأكدت طهران استعدادها للتعاون مع موسكو مع إبقاء إمكانية التفاوض مع أوروبا مفتوحة لتأمين الفوائد الاقتصادية[٧٩] .

مع استثمار الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي بشكل كبير في دعم أوكرانيا ضد العدوان الروسي، تحول الاهتمام الاستراتيجي الأمريكي بعيدًا عن الشرق الأوسط. وقد وفر هذا التحول لإيران مساحة أكبر للمناورة إقليميًا، وخاصة في البلدان التي تحتفظ فيها بنفوذ كبير، مثل سوريا والعراق ولبنان واليمن .استغلت إيران هذا الوجود الأمريكي المحدود لتعزيز تحالفاتها الإقليمية وتوسيع نفوذها. كما أدت الحرب إلى تعاون عسكري أوثق بين إيران وروسيا، حيث تشير التقارير إلى أن إيران زودت القوات الروسية بطائرات بدون طيار ومعدات عسكرية أخرى لاستخدامها في أوكرانيا[٨٠] . وقد عززت هذه الشراكة العسكرية أهمية إيران الاستراتيجية لروسيا، مما عزز نفوذ طهران في العلاقات الثنائية.

في حين خلقت حرب أوكرانيا العديد من الفرص لإيران، إلا أنها أدخلت أيضًا تحديات وقيودًا جديدة في علاقتها مع روسيا. وتشمل هذه الأولويات الاستراتيجية غير المتساوية، والتبعيات الاقتصادية، والنهج الروسي القائم على المعاملات في العلاقات الثنائية .على الرغم من تعاونهما المتزايد، لا تتقاسم إيران وروسيا أولويات استراتيجية متساوية. تنظر روسيا إلى إيران كشريك ثانوي في طموحاتها الجيوسياسية الأوسع، وغالبًا ما تعطي الأولوية لعلاقاتها مع القوى الأكبر مثل الصين والهند. وفي حين تحالفت إيران مع روسيا ردًا على الضغوط الغربية، كانت موسكو على استعداد تاريخيًا للتعاون مع الغرب عندما يخدم ذلك مصالحها، وأحيانًا على حساب إيران ومن الأمثلة على ذلك محاولة روسيا استخدام المفاوضات النووية الإيرانية كوسيلة ضغط لصالحها. بالإضافة إلى ذلك، استمرت موسكو في التعامل مع دول الخليج العربية، بما في ذلك المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، على الرغم من علاقاتها العدائية مع طهران. وهذا يدل على أن دعم روسيا لإيران عملي إلى حد كبير وليس أيديولوجيًا، مما يحد من عمق

شراكتهما الاستراتيجية .على الرغم من زيادة تعاون إيران وروسيا الاقتصادي، إلا أن البلدين يواجهان تحديات اقتصادية كبيرة بسبب العقوبات الغربية. وفي حين سعت إيران إلى تعزيز التجارة مع روسيا، تظل أحجام التجارة الثنائية متواضعة نسبيًا مقارنة بالعلاقات الاقتصادية الإيرانية مع الصين ودول آسيوية أخرى[٨١،١٣،٢٨] .

وعلاوة على ذلك، فإن قدرة إيران على تصدير النفط والغاز إلى روسيا محدودة بسبب البنية التحتية والقيود اللوجستية. ويتنافس قطاع الطاقة الروسي مع قطاع إيران، مما يقلل من نطاق التعاون في هذا المجال. وفي حين تم استكشاف التجارة المقايضة وآليات الدفع البديلة، فمن غير المرجح أن تحل العلاقات الاقتصادية بين البلدين محل الإيرادات المفقودة لإيران من الأسواق الغربية .إن نهج روسيا في علاقتها بإيران قائم على المعاملات إلى حد كبير، مما يعني أن موسكو تعطي الأولوية للمكاسب قصيرة الأجل على الالتزامات الاستراتيجية طويلة الأجل. وقد أدى هذا إلى تقلبات في العلاقات الثنائية بينهما، مع فترات من التعاون الوثيق تليها لحظات من الاختلاف. على سبيل المثال، في حين دعمت إيران روسيا دبلوماسيًا، لم ترد موسكو بالمثل دائمًا. فقد انحازت روسيا في بعض الأحيان إلى القوى الغربية في قضايا مثل قرارات الأمم المتحدة ضد برنامج الصواريخ الإيراني. وهذا يسلط الضوء على حدود اعتماد إيران على روسيا كشريك استراتيجي، حيث تعطي موسكو في النهاية الأولوية لمصالحها الخاصة على مصالح طهران.

لقد أعادت حرب أوكرانيا تشكيل العلاقات بين إيران وروسيا، حيث قدمت فرصاً وتحديات لطهران. فمن ناحية، عملت الحرب على تعميق الانقسام بين روسيا والغرب، وخلق فرص جديدة لإيران لتعزيز علاقاتها مع موسكو. كما قدمت أزمة الطاقة في أوروبا، وتأثيرها على المفاوضات النووية، وانخفاض التركيز الأميركي على الشرق الأوسط، لإيران مزايا استراتيجية .من ناحية أخرى، تظل العلاقة تتسم بمصالح استراتيجية غير متكافئة، وقيود اقتصادية، ونهج روسيا البراجماتي في التعامل مع العلاقات الثنائية. وفي حين سعت إيران إلى وضع نفسها كشريك رئيسي لروسيا، حيث تواصل موسكو ملاحقة أهدافها الجيوسياسية الخاصة، وأحياناً على حساب إيران .وفي نهاية المطاف، سوف يعتمد مستقبل العلاقات بين إيران وروسيا على كيفية تعامل البلدين مع هذه التحديات والفرص في النظام العالمي المتطور. وفي حين دفعت الحرب في أوكرانيا البلدين إلى التقارب، فإن شراكتهما تظل سائلة وعرضة للديناميكيات الجيوسياسية المتغيرة.

المبحث السادس: التعاون الاقتصادي والتجاري بين روسيا وإيران بعد الحرب الأوكرانية

عندما اندلعت الحرب الأوكرانية في فبراير ٢٠٢٢، كانت روسيا تتوقع أن تتعرض لعقوبات اقتصادية شديدة من قبل الغرب، وهو ما دفعها إلى البحث عن شركاء جدد لضمان استمرارية اقتصادها. ومن بين هذه الشراكات التي أظهرت تزايدًا ملحوظًا بعد الحرب، كانت العلاقة الاقتصادية مع إيران. تتقاطع مصالح

البلدين في عدة مجالات اقتصادية وتجارية، بدءًا من قطاع الطاقة وصولًا إلى النقل والتكنولوجيا. ورغم أن هذه العلاقة قديمة وتعود إلى عدة عقود، إلا أن الحرب الأوكرانية أعطتها زخمًا كبيرًا، وتحولت إلى شراكة استراتيجية أساسية في مواجهة الضغوط الاقتصادية الغربية.

منذ بداية الحرب، كانت العقوبات الغربية على روسيا صارمة وغير مسبوقة، حيث استهدفت العديد من القطاعات الاقتصادية الرئيسية مثل الطاقة، والمال، والصناعة. هذه العقوبات جعلت روسيا تبحث عن بدائل لأسواقها التقليدية في الغرب، ومن هنا جاء الدور المحوري لإيران كحليف اقتصادي مكمّل في ظل العزلة المتزايدة لروسيا. إيران، التي تواجه عقوبات شديدة من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي منذ سنوات، كانت قد طوّرت آليات للالتفاف على العقوبات، مما جعلها وجهة مناسبة لروسيا. ففي الوقت الذي كانت فيه التجارة مع أوروبا وأميركا شبه مستحيلة، ظهرت إيران كممر بديل للسلع والخدمات الروسية، مما أتاح للطرفين استخدام آليات اقتصادية غير تقليدية للحفاظ على استقرار اقتصادهما. يعد قطاع الطاقة من أهم مجالات التعاون الاقتصادي بين روسيا وإيران. فروسيا، كونها من أكبر منتجي الغاز والنفط في العالم، وإيران، التي تمتلك احتياطيًا هائلًا من الغاز والنفط، يشتركان في العديد من المشاريع المشتركة لتطوير قطاع الطاقة.

تعاني إيران من مشاكل في تصدير النفط بسبب العقوبات الغربية التي تفرض عليها، ولكن روسيا أصبحت شريكًا مهمًا في هذا السياق. في العديد من الاتفاقات الثنائية، تقوم روسيا بمساعدة إيران في تطوير حقول الغاز والنفط الخاصة بها. في المقابل، يمكن لإيران أن تزود روسيا بأسواق إضافية لمنتجاتها النفطية في مناطق معينة مثل أسواق الصين وآسيا الوسطى. تم توقيع عدة اتفاقيات للتعاون في بناء وتطوير منشآت النفط والغاز، مثل مشروعات لتطوير أنابيب نقل الغاز. وهذا التعاون يعكس التنسيق بين البلدين في تقليل الاعتماد على تقنيات الدول الغربية. روسيا قدمت أيضًا مساعدات لإيران في مجال الطاقة النووية، حيث تم بناء مفاعل بوشهر النووي بمساعدة روسية. كما يتوقع أن تستمر روسيا في دعم طهران في تطوير هذه الطاقة لاستخدامها في إنتاج الكهرباء، مما يعزز من الأمن الطاقي الإيران[١٨،٢١].

مع فرض العقوبات على روسيا من قبل الغرب، بدأ حجم التجارة بين روسيا وإيران في الزيادة بشكل ملحوظ. وتوجد عدة مجالات رئيسية للتبادل التجاري بين البلدين:

١. السلع الصناعية والتكنولوجيا: روسيا تمد إيران بالعديد من السلع الصناعية مثل الآلات والمعدات الثقيلة، بالإضافة إلى التقنيات المتقدمة في مجالات مثل الدفاع والطاقة. كما تعمل الشركات الروسية في مجالات الهندسة المدنية على بناء مشاريع بنية تحتية في إيران، تشمل سكك الحديد والموانئ.
٢. المنتجات الزراعية: من جانب آخر، تصدر إيران لروسيا العديد من المنتجات الزراعية، مثل الفواكه والخضراوات والتمور. كانت التجارة في المنتجات الزراعية، خصوصًا الفواكه الإيرانية،

تشهد ازدهارًا كبيرًا مع ازدياد الطلب في السوق الروسية، خاصة مع تزايد عزلة روسيا عن أسواقها التقليدية.

٣. المنتجات الغذائية والمكملات الغذائية: أصبحت إيران مصدرًا رئيسيًا للمنتجات الغذائية في روسيا، بما في ذلك المكملات الغذائية والأعشاب الطبية، وهي سوق تنافس فيها إيران دولًا أخرى في المنطقة مثل تركيا.

من أهم التطورات الاقتصادية بين روسيا وإيران بعد الحرب الأوكرانية هو ازدياد استخدام العملات المحلية في التجارة بين البلدين. فبسبب العقوبات على العملات الرئيسية مثل الدولار واليورو، بدأ البلدان في إبرام صفقات تجارية بالريال الإيراني والروبل الروسي، مما ساعد في تقليل التأثيرات السلبية للعقوبات الغربية. وبدأت بنوك إيرانية وروسية في فتح حسابات مشتركة لتسهيل المعاملات المالية، بما في ذلك إنشاء أنظمة دفع بديلة تشكل حصنًا ضد ضغوط النظام المالي الدولي. على الرغم من الصعوبات التي واجهتها روسيا في قطاع النقل بعد الحرب، إلا أن إيران أصبحت شريكًا رئيسيًا في هذا المجال، خاصة في مجال النقل البري والبحري حيث تعمل إيران وروسيا على تعزيز ربط شبكاتهما السككية، مما يسهل النقل بين البلدين من خلال ممرات جديدة، ما يساهم في تسهيل التجارة بين آسيا وأوروبا. إيران وروسيا تعملان أيضًا على تطوير الموانئ والممرات البحرية عبر بحر قزوين، لتيسير حركة السلع بينهما وبين الدول الأخرى مثل الصين وكازاخستان. قد يكون النقل البري أحد الخيارات الرئيسية، حيث تعبر الشاحنات الإيرانية والروسية الحدود بين البلدين لنقل البضائع، وتعتبر هذه وسيلة فعّالة للتجارة، خاصة مع ازدياد الطلب على السلع الإيرانية في السوق الروسية[٢٠،٣١] .

تعد الصناعات العسكرية أحد مجالات التعاون الهامة بين البلدين، حيث توفر روسيا لإيران تقنيات دفاعية متقدمة تشمل أنظمة الصواريخ والطائرات المقاتلة. في المقابل، تقدّم إيران لروسيا دعماً استراتيجيًا في مجالات أخرى، مثل بناء القواعد العسكرية أو تبادل الخبرات العسكرية. كما دخلت روسيا وإيران في شراكات في مجالات أخرى مثل التكنولوجيا، حيث تسعى إيران للاستفادة من الخبرات الروسية في مجالات مثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والهندسة الميكانيكية. على الرغم من التعاون المتزايد بين روسيا وإيران، فإن هناك بعض التحديات التي قد تواجه هذا التعاون في المستقبل[١٨،٢٠،٢١] :

١. الاعتماد على أسواق محدودة: قد يواجه البلدان تحديات بسبب اعتمادهما على أسواق محدودة مثل الصين وبلدان آسيا الوسطى، مما قد يؤثر على تنوع الاقتصاديات.

٢. التوترات الإقليمية: قد تؤدي بعض التوترات الإقليمية، مثل الوضع في سوريا والعراق، إلى تعقيد التعاون، خاصة إذا تدخلت أطراف أخرى في هذه المناطق.

٣. المشاكل الاقتصادية الداخلية: يعاني كلا البلدين من مشاكل اقتصادية داخلية، مثل التضخم والبطالة، التي قد تؤثر على استدامة التعاون الاقتصادي.

لقد أصبحت الحرب الأوكرانية نقطة مفصلية في تاريخ العلاقات الاقتصادية بين روسيا وإيران، حيث أسهمت في تحويل التعاون بين البلدين من مجرد تبادل تجاري إلى شراكة استراتيجية حيوية. ورغم التحديات التي قد تواجه هذه العلاقة، فإن هناك آفاقًا واسعة لمزيد من التعاون، خاصة في مجالات الطاقة، والنقل، والتكنولوجيا، والتجارة. وبالنظر إلى العزلة الاقتصادية التي يواجهها البلدان من الغرب، يبدو أن هذا التعاون سيظل يشكّل أداة حيوية لضمان استقرار اقتصادي لكل من روسيا وإيران في المستقبل

الاستنتاجات النهائية: تأثير الحرب الأوكرانية على العلاقات بين روسيا وإيران

لقد غيرت الحرب في أوكرانيا المشهد الجيوسياسي بشكل كبير، وأعادت تشكيل التحالفات والتفاعلات الاقتصادية والتعاون الاستراتيجي. ومن بين أبرز التحولات تعزيز العلاقات بين روسيا وإيران. ويلخص هذا الاستنتاج النهائي النتائج الرئيسية للورقة، مسلطًا الضوء على التأثيرات المتعددة الجوانب للصراع على العلاقات الثنائية بين هاتين الدولتين .أولاً وقبل كل شيء، أجبرت الحرب الأوكرانية روسيا على البحث عن تحالفات وشراكات جديدة للتخفيف من العزلة الاقتصادية والسياسية المفروضة بسبب العقوبات الغربية. وبرزت إيران، التي خضعت تاريخيًا لعقوبات مماثلة، كشريك طبيعي. وقد سهّل هذا التقارب في المصالح تعميقًا غير مسبوق للتعاون الاقتصادي. وتوسعت التجارة بين روسيا وإيران، حيث استفادت كل من الدولتين من علاقاتها الاقتصادية للالتفاف على القيود الغربية. كما زاد التعاون في مجال الطاقة، بما في ذلك تبادل موارد النفط والغاز، حيث تقدم إيران الدعم اللوجستي والبنيوي لقطاع الطاقة الروسي في مواجهة الحظر الأوروبي.

وعلى الصعيد العسكري، عملت الحرب على تكثيف التعاون الدفاعي بين روسيا وإيران. ويشكل شراء ونشر الطائرات بدون طيار الإيرانية من قبل القوات الروسية في أوكرانيا شهادة على التآزر العسكري المتزايد بين البلدين. وقد امتد هذا التعاون العسكري إلى ما هو أبعد من تجارة الأسلحة، ليشمل تبادل المعلومات الاستخباراتية والتخطيط الاستراتيجي المشترك. وفي حين سعت إيران إلى تعزيز صناعتها الدفاعية من خلال المساعدة التكنولوجية الروسية، وجدت روسيا في إيران مورداً حاسماً للأسلحة الفعالة من حيث التكلفة والمجربة في القتال .على الصعيد الدبلوماسي، عزز الصراع في أوكرانيا معارضة روسيا وإيران المشتركة للهيمنة الغربية. وقد سعى البلدان بنشاط إلى تحدي النفوذ الأميركي والأوروبي، وتشكيل تحالفات أقوى داخل المنتديات الإقليمية والدولية. وكان هذا التوافق واضحاً في تنسيقهما داخل منظمات مثل منظمة شنغهاي للتعاون والكتلة الاقتصادية لمجموعة البريكس، حيث دافعا عن التعددية القطبية في الحكم العالمي.

وعلى الرغم من هذه العلاقات المتنامية، فإن الشراكة بين روسيا وإيران ليست خالية من القيود. إن انعدام الثقة التاريخي، وعدم التوازن الاقتصادي، والطموحات الإقليمية المتنافسة تظل عوامل أساسية قد تقيد التعاون الطويل الأجل. وكثيراً ما تضع التحالفات الاستراتيجية التي تقيمها روسيا مع جهات فاعلة أخرى في الشرق الأوسط، مثل المملكة العربية السعودية وإسرائيل، حدوداً لمدى قدرتها على التوافق مع الأهداف الإقليمية لإيران. فضلاً عن ذلك، يظل اعتماد إيران الاقتصادي على روسيا ثانوياً مقارنة بطموحاتها الأوسع نطاقاً في الاكتفاء الذاتي وتنويع الشراكات مع جهات فاعلة عالمية أخرى مثل الصين والهند .وإذا نظرنا إلى المستقبل، فسوف يعتمد مسار العلاقات الروسية الإيرانية على عدة عوامل، بما في ذلك مدة الحرب الأوكرانية ونتائجها، وتطور السياسات الغربية تجاه كل من الدولتين، والديناميكيات السياسية والاقتصادية الداخلية داخل روسيا وإيران. وإذا استمرت الحرب، فمن المرجح أن تستمر شراكتهما في التعمق، مع المزيد من التكامل العسكري والاقتصادي. ومع ذلك، إذا تغيرت الظروف الجيوسياسية ــ مثل الانفراج المحتمل بين روسيا والغرب أو التغييرات في القيادة الإيرانية ــ فقد يعاد تقييم طبيعة علاقتهما.

وفي الختام، كانت الحرب الأوكرانية بمثابة حافز لتوثيق العلاقات بين روسيا وإيران، مدفوعة بالتحديات الاقتصادية المشتركة، والتعاون العسكري، والتحالفات الجيوسياسية ضد النفوذ الغربي. وفي حين نمت هذه الشراكة بشكل كبير، فإن الاختلافات البنيوية والاستراتيجية الأساسية قد تشكل تحديات لاستدامتها في الأمد البعيد. ومع استمرار تطور ديناميكيات القوة العالمية، ستظل العلاقات بين روسيا وإيران عنصرا حاسما في الخطاب الأوسع نطاقا حول الأمن الدولي وإعادة التنظيم الجيوسياسي.

المصادر:

١. **Sefat Gol, M., & Hosseini Taghiabad, S. M. (٢٠٢٠). From Attempts to Form a Coalition to Worsened Relations; Transformation in Iran and Russia Relations in the Seventeenth Century. Central Eurasia Studies, ١٣(١), ٩١-١١٦.**

٢. **Morshedloo, J., & Dudaiti, A. K. (٢٠٢٥). Iran-Russia Relations and the Changing Geopolitics of the Caucasus (١٥٢١-١٧٢٢). Central Eurasia Studies, ١-٣٢.**

٣. **Matthee, R. (٢٠١٣). Rudeness and Revilement: Russian–Iranian Relations in the Mid-Seventeenth Century. Iranian Studies, ٤٦(٣), ٣٣٣-٣٥٧.**

٤. **Cronin, S. (Ed.). (٢٠١٣). Iranian-Russian encounters: empires and revolutions since ١٨٠٠ (Vol. ١٤). Routledge.**

٥. **Keddie, N. R. (١٩٧٢). The economic history of Iran, ١٨٠٠–١٩١٤, and its political impact an overview. Iranian Studies, ٥(٢-٣), ٥٨-٧٨.**

٦. **Deutschmann, M. (٢٠١٥). Iran and Russian imperialism: the ideal anarchists, ١٨٠٠-١٩١٤. Routledge.**

٧. **Latsabidze, A. (٢٠٢٤). Russian-Persian Diplomacy and the Process of Border Formation Between them in the ١٨th and ١٩th Centuries. Free University Journal of Asian Studies, (٦).**

٨. **Gapurov, S. A., Sugaipova, A. M., & Tovsultanov, R. A. (٢٠٢٠). Russian And Iranian Relations in the Last Third of the ١٨Th Century. European Proceedings of Social and Behavioural Sciences.**

٩. **Atabaki, T. (٢٠٠٦). Iran and the First World War: battleground of the great powers. Bloomsbury Publishing.**

١٠. **Moore, E. D. (٢٠١٤). Russia-Iran relations since the end of the Cold War. Routledge.**

١١. **Tarock, A. (٢٠١٧). Russo–Iranian relations in the post-Soviet era. Diplomacy & Statecraft, ٢٨(٣), ٥١٨-٥٣٧.**

١٢. **Dunaeva, E. (٢٠١٣). Russo-Iranian political relations in the first decade of the twenty-first century. Iranian Studies, ٤٦(٣), ٤٤٣-٤٦٩.**

١٣. **Moore, E. D. (٢٠١٢). The Crisis of Cooperation: A Critical Analysis of Russian-Iranian Relations in the Post-Soviet Era.**

١٤. **Bagheri Dolatabadi, A. (٢٠١٤). Theortical Approaches to Causes of Iran-Russia Warm Relations after the Collaps of Soviet Union. Central Eurasia Studies, ٧(١), ٣٧-٥٦.**

١٥. Freedman, R. O. (٢٠٠٠). Russian-Iranian relations in the ١٩٩٠s. Middle East Review of International Affairs, ٤(٢), ٦٨.

١٦. Saunders, P. J. (٢٠٠٣). The US and Russia after Iraq. Policy Review, (١١٩), ٢٧.

١٧. Taremi, K. (٢٠٠٥). Iranian Foreign Policy Towards Occupied Iraq, ٢٠٠٣–٠٥. Middle East Policy, ١٢(٤).

١٨. Mahmoudian, A. (٢٠٢٣). The War in Ukraine: The Turning Point of Russia-Iran Relations. In The Great Power Competition Volume ٥: The Russian Invasion of Ukraine and Implications for the Central Region (pp. ١٤١-١٦٠). Cham: Springer Nature Switzerland.

١٩. Zangeneh, S. (٢٠٢٣). Iran-Russia Relations after the Ukraine War. International Studies, ٢٠(٢), ٧٨.

٢٠. Divsallar, A. (٢٠٢٢). Rising interdependency: How Russo-Iranian relations have evolved with the war in Ukraine. Trends Research, ١٢.

٢١. Niakooee, Seyed Amir, and Hossein Rahdar. "The Middle East and Iran in Russia's Foreign Policy after the Ukraine War." Iranian Review of Foreign Affairs ١٢, no. ٣٤ (٢٠٢١): ٤٩٣-٥٢٤.

٢٢. Roomi, F., & Aleghafur, M. (٢٠٢٣). The foreign policy approach of the Islamic Republic of Iran in the Ukraine war; Achievements and challenges. International Relations Researches, ١٣(٣), ٣٥-٦٣.

٢٣. Alibabalu, S. S. (٢٠٢٣). The geopolitical impacts of the russo-Ukrainian war on iran. Krakowskie Studia Międzynarodowe, ٢٠(١), ٤٣-٥٤.

٢٤. Divsallar, A. (٢٠٢٤). Struggle for Alliance: Russia and Iran in the Era of War in Ukraine.

٢٥. Ostovar, A., Gingeras, R., & Meierding, E. (٢٠٢٣). Crisis And Opportunity: Russia's War in Ukraine and the Middle East. Naval Postgraduate School: Monterey, CA, USA, ١-٦٠.

٢٦. Cordesman, A. H. (٢٠٢٣). The Lasting Strategic Impact of the War in Ukraine (pp. ٢٠٢٣-٠٧). Center for Strategic and International Studies (CSIS).

٢٧. Cebotari, S., & Guţu, I. (٢٠٢٢). The russia-ukraine war. Causes of emergence. Relaţii internaţionale. Plus, ٢١(١), ٨٩-٩٦.

٢٨. Nikunahad, A., Emadi, S., & Biuck, M. (٢٠٢٤). The Consequences of Iran-Russia Defense and Security Cooperations during the Ukraine Crisis (٢٠٢٢). Crisis Studies of the Islamic World, ١١(٣), ٦٥-٩٢.

٢٩. Helalat, E., & Hakim, H. (٢٠٢٣). A comparative analysis of Iran and Israel's policy towards the Ukraine crisis. The Fundamental and Applied Studies of the Islamic World, ٥(٣), ١٦٩-١٩٦.

٣٠. Kozhanov, N. (٢٠٢٣). Russia and Iran's Military Cooperation in the Context of the Ukraine War: Strategic Alliance or Tactical Convergence? Middle East Institute.

٣١. Amiri, M. (٢٠٢٣). Strategic cooperation between Iran and Russia; Opportunities and challenges. Middle East Political Review, ٦(١), ٢٣-٥٢.

٣٢. Ghadbeigy, Z. (٢٠١٧). The Future of Cooperation of Iran and Russia in the Field of Security and Defense. Global Journal of Political Science and Administration, ٥(٣), ١-١٢.

٣٣. Mahmoudian, A. (٢٠٢٣). Russia-Iran Military Cooperation: The Dynamic Is Changing Dramatically Because of Drones in the Ukraine War.

٣٤. Atlantic Council. (٢٠٢٣). Iran's Shahed drones and Russia's war in Ukraine: A strategic shift in warfare? Atlantic Council.

٣٥. Institute for the Study of War. (٢٠٢٣). Iranian missile transfers to Russia: Expanding military cooperation and battlefield impact.

٣٦. Center for Strategic and International Studies (CSIS) (٢٠٢٣). Iran's pursuit of Russian air defense systems: Strategic implications of the S-٤٠٠ deal.

٣٧. Atlantic Council. (٢٠٢٣). Russia-Iran defense collaboration: Building Iran's domestic military-industrial complex.

٣٨. U.S. Department of State. (٢٠٢٣). Sanctions on entities supporting Russia-Iran military cooperation.

٣٩. European Council on Foreign Relations (ECFR) (٢٠٢٣). Russia and Iran's growing military ties: Implications of Caspian Sea naval exercises.

٤٠. International Institute for Strategic Studies (IISS) (٢٠٢٣). Iran's military modernization and its regional impact.

٤١. U.S. Department of Defense (٢٠٢٣). Pentagon announces delivery of Patriot and NASAMS systems to Ukraine.

٤٢. North Atlantic Treaty Organization (٢٠٢٣). NATO boosts intelligence-sharing to disrupt Iran-Russia arms transfers.

٤٣. United Nations Security Council (UNSC) (٢٠٢٣). Discussions on Iran's arms embargo and military support to Russia.

٤٤. Gulf Cooperation Council (GCC) (٢٠٢٣). GCC strengthens defense ties with Western allies amid Iran-Russia military cooperation.
٤٥. Comment by Iran-based security expert (٢٠٢٣), Brussels.
٤٦. Gressel, G. (٢٠٢٣, April). Email interview.
٤٧. Gressel, G. (٢٠٢٣, April). Email interview.
٤٨. Gressel, G. (٢٠٢٣, April). Email interview.
٤٩. Former senior Iranian official. (٢٠٢٣). Comments during off-the-record meeting, Brussels.
٥٠. British, French, and EU officials. (٢٠٢٣). Comments during off-the-record meetings, London, Paris, and Brussels.
٥١. Former senior European official. (٢٠٢٣). Comment during online meeting held under the Chatham House Rule.
٥٢. Shoori, M. (٢٠٢٣). Interview (online).
٥٣. European officials. (٢٠٢٣). Comments during off-the-record meetings, Brussels, London, and Paris.
٥٤. Russia-based defense expert (٢٠٢٣). Interview (online).
٥٥. Western defense expert (٢٠٢٣). Comment during online meeting held under the Chatham House Rule.
٥٦. Russia-based defense expert. (٢٠٢٣). Interview (online).
٥٧. Senior Russia-based expert on Russia-Iran relations. (٢٠٢٣). Interview (online).
٥٨. Iran-based defense expert. (٢٠٢٣). Discussion (online).
٥٩. Divsallar, A.-F. (٢٠٢٣). Interview (online).
٦٠. U.S. officials. (٢٠٢٢). Comments during off-the-record meeting, Washington, D.C.
٦١. Divsallar, A.-F. (٢٠٢٣). Interview (online).
٦٢. Divsallar, A.-F. (٢٠٢٣). Interview (online).
٦٣. Shoori, M. (٢٠٢٣). Interview (online).
٦٤. Divsallar, A.-F. (٢٠٢٣). Interview (online).
٦٥. Senior Russia-based expert on Russia-Iran relations. (٢٠٢٣). Interview (online).
٦٦. Heiran-Nia, J. (٢٠٢٣). Interview (online).
٦٧. Iran-based security expert. (٢٠٢٣). Comment during off-the-record meeting, Brussels.
٦٨. Iran-based security expert. (٢٠٢٣). Comment during off-the-record meeting, Brussels.

٦٩. Zakharchenko, A. M. (٢٠٢٣). The role of Iran in Russia's war in Ukraine: the impact on mediterranean security.

٧٠. Blank, S. (٢٠٢٤). What's At Stake in Ukraine: European Security in a Broader Context.

٧١. Mader, M. (٢٠٢٢, April). Russia's invasion of Ukraine: A watershed for European public opinion. In Mershon center for international security studies conference paper series. US and NATO Relations with Russia and Security in Europe Conference.

٧٢. Kolarski١١, L. (٢٠٢٢). The impact of the war in Ukraine on the Western Balkans. The Policy of National Security, ٢٣(٢), ٨٧.

٧٣. Bechev, D. (٢٠٢٣). The Ukraine War: Response in the Western Balkans. Year Later: War in Ukraine and Western Balkan (Geo) Politics/ed. by S. Kacarska, J. Džankić, S. Keil. Italy: European University Institute, ١٥-٢٢.

٧٤. Puleri, M., & Achilli, A. (٢٠٢٢). Beyond War: Russia, Ukraine and the State of the Field. ESAMIZDAT, ١٥, ١٩-٢٤.

٧٥. Mbah, R. E., & Wasum, D. F. (٢٠٢٢). Russian-Ukraine ٢٠٢٢ War: A review of the economic impact of Russian-Ukraine crisis on the USA, UK, Canada, and Europe. Advances in Social Sciences Research Journal, ٩(٣), ١٤٤-١٥٣.

٧٦. Samii Isfahani, A., & Farahmand, S. (٢٠٢٢). Russia-Ukraine war and the future of international order. Central Asia and The Caucasus Journal, ٢٨(١١٨), ٨٧-١١٣.

٧٧. Eslami, M. (٢٠٢٢). Iran's drone supply to Russia and changing dynamics of the Ukraine war. Journal for Peace and Nuclear Disarmament, ٥(٢), ٥٠٧-٥١٨.

٧٨. Atif, M., Ahmed, B., & Khan, A. H. (٢٠٢٣). Russian-Ukraine War and its Impact on the Current World.

٧٩. Kataf, A. P. D. F. H. (٢٠٢٣). THE IMPACT OF THE RUSSIAN-UKRAINIAN WAR ON RUSSIAN-CHINESE RELATIONS. Tec Empresarial, ٥(٢).

٨٠. Khylko, M., Shelest, H., Grigoryan, A., Valiyev, A., Alili, A., Namazova, F., ... & Lebanidze, B. (٢٠٢٢). Impact of the Russia-Ukraine war on Black Sea geopolitics. Caucasus Analytical Digest (CAD), ١٣٠.

٨١. Zdanowski, J. (٢٠٢٣). What the russian war in Ukraine means for the Middle east? Krakowskie Studia Międzynarodowe, ٢٠(١), ١٣-٤٢.